

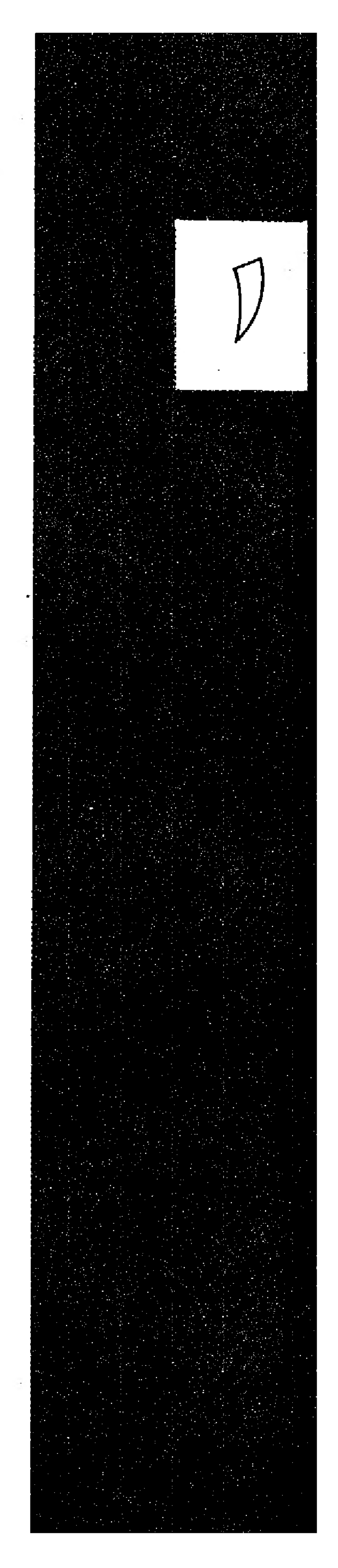
أغـــرب حكايـــات السحـــر

أغرب حكايات السحر

تأليف : جون كاننج

الطبعة الأولى
الناشر . المكتب العربى للمعارف
العنوان . ٧ ش عبد الله دراز - أرض الجولف ت : ٢٩٠٠٣٨٠

«جهد كبير بذله هذا الرجل جون كاننج في جمع كل هذه القصص الغريبة التي تؤكد القدرات الخارقة للروح الإنسانية .. في عالم غريب .. سيظل غامضا .. يتناول العديد من مظاهر القوى الخارقة .. والسحر .. والأشباح والعودة إلى الحياة .. والسحر الأسود .. والعلاج الروحي .. والجراحات السحرية .. »



هذا الدرويش المصرى الذى دفن نفسه ٢٨ يوما ثم عاد يمارس حياته الطبيعية .

* قدرات خارقة تمنع الدم من التدفق وتشفى الجروح فى دقائق معدودة عندما توقف تنفس الساحر المصرى ونبضات قلبه لمدة ٩٠ دقيقة .

شارلز اريل ماين

شارلز إريل ماين

« ساحر فى مصر »

شارلز إريل ماين

بعد رحلات طويلة قام بها بول برنتون عبر الهند سعيا وراء الحقائق الروحية الغامضة.. قام برحلة أخرى إلى مصر.. كصحفى بصورة معلنة.. بينما هو فى الحقيقة مدفوع بالسعى لاكتشاف الفلسفات القديمة والأنظمة التى حكمت مصر.. وعن أصحاب الأعمال الإعجازية والكهنة ورجال الدين.. فلمصر التى تمثل الشرق الأدنى أكثر من الشرق الأقصى حقيقة ثقافية مختلفة ويرتبط المضمون الغامض فى مصر القديمة بالمجموعة المختلفة من الآلهة الرمزية..

وفى مصر التقى برنتون بطاهر بك.. من أشهر الدراويش.. وهو لم يكن.. كالحالة فى الهند.. رجلا فقيرا يرفض العيش فى الرفاهية المادية فى العالم ويعتمد على ما يقدمه له الآخرون من طعام.. بل على العكس.. فقد كان رجلاً ثريا معروفاً وسط الدوائر الملكية وكان يسكن شقة حديثة بها كل الكماليات فى أحد الأحياء «الأوروبية» فى القاهرة.. وقد بدت إنجازاته السحرية هائلة.. فقد ولد فى عام ١٨٩٧ فى مدينة طنطا بدلتا النيل.. توفيت أمه وهو لايزال طفلا.. كان والده قبطيا.. وبسبب بعض المشاكل السياسية تركت الأسرة القاهرة وتوجهت إلى تركيا حيث أقامت فى مدينة القسطنطينية.. وتلقى الشاب تعليما جيدا ودرس

الطب وأصبح مؤهلا ليكون طبيب .. وافتتح عيادة فى اليونان .. وهناك قام بما اعتبره أعظم إنجازاته حين سمح لنفسه بأن يُدفن حيا لمدة لا تقل عن ٢٨ يوما رغم معارضة بعض رجال الدين الذين رأوا فى تلك التجربة تناقضا مع الأديان .. ولكن الحكومة أقرت التجربة على أساس أن طاهرا بك كان طبيبا له حق أن يدفن نفسه كما يشاء ..

وبعدها قام بزيارات لكل من سيبريا وبلغاريا وإيطاليا .. وفى إيطاليا سمح لمجموعة من العلماء المشهورين باختبار قدرته ووضعوه فى نعش وضعوه فى حمام سباحة .. ولكن بعض نصف ساعة تدخلت قوات البوليس وأوقفوا التجربة .. بعدها وفى فرنسا تم تكرار التجربة واستمرت لمدة ٢٤ ساعة .. وقال طاهر بك إنه سعد لدخول هذه التجربة لأن بعض المنتقدين زعموا أن الدراويش الهنود الذين مروا بهذه التجربة بالدفن أحياء كانوا يصنعون قنوات هواء سرية محفورة في الأرض لتمكنهم من استمرار التنفس .. ولهذا السبب فإن طاهراً بك قام بتجربته تحت الماء بحيث يمكن للعلماء والمنتقدين أن يلاحظوا كل شيء ويراقبوه .

وقد ذاعت شهرة الرجل فى الآفاق فدعاه كل من الملك فؤاد ملك مصر والملك كارول ملك رومانيا والملك فيكتور إيما نويل ملك إيطاليا ..

وكانت رغبة برنتون أن يشهد بنفسه بعض هذه التجارب تحت ظروف يمكن التحكم فيها وليس أن يسمع فقط للتفاصيل .. وكالعادة استطاع برنتون إقناع مضيفه بأداء التجربة .. كان طاهر بك نفسه قصيراً ذا ملامح متميزة .. ووجه مريح .. كان سلوكه لطيفا وبسيطا .. كما كان مضيافاً كريما .. وكان يتحدث

بصوت خفيض وبتواضع شديد حتى إن أحدا لم يكن يمكنه تخيل أن يكون هذا هو الرجل صاحب القوى الخارقة .. وكان يدخن بشراهة ..

وفى شقته قال طاهر بك بخصوص قدراته الخارقة «يجب أن نبدأ بالاعتراف داخل أنفسنا بالإمكانات الهائلة التى نمتلكها جميعا .. وحتى نفعل ذلك فعلينا أن نظل مرتبطين بالقيود غير الضرورية التى تحول بيننا وبين ممارسة قدراتنا الروحية الهائلة والقوى المادية .. ويعتقد الناس الذين يرون الظاهرة التى أقوم بها أنها نوع من السحر أو الشعوذة ... أو شىء خارق للطبيعة تماماً .. وفى الحالتين فهم مخطئون .. فهم لم يفهموا حقيقة أن هذه أشياء علمية تماما تستجيب لقوانين الطبيعة الروحية التى لا تفهم بصورة كاملة» ..

ومن أجل القيام بالتجربة التى جرت فى شقة طاهرة بك جمع برنتون مجموعة صغيرة من الأطباء لكى يشاهدوا سلسلة التجارب التى قام بها طاهر بسهولة وبساطة غير عادية ..

ولسوء الحظ فإن برنتون لم يذكر أسماء أو شخصيات هؤلاء الشهود .. ارتدى طاهر بك جلبابا أبيض ورداء على الرأس مربوطا بخيوط من اللونين الذهبى والأزرق .. بينما علق على صدره سلسلة تنتهى بنجمة خماسية الشكل ذهبية .. ووقف وقد وضع يديه على صدره منتظراً لحظة البداية ..

وعلى منضدة فى الحجرة كانت هناك بعض الأشياء التى فحصها الحاضرون .. فقد كان عليها بعض الخناجر الصغيرة والمسامير والإبر وقطع الزجاج .. وعلى منضدة أخرى كان هناك لوح خشبى مملوء أيضاً بالمسامير .. وقطعة من صخرة ثقيلة

وميزان ومطرقة .. وأرنب ودجاجة مربوطان من القدمين وموضوعان فى سلة .. كان هناك أيضاً نعش طويل .. وصندوق أكبر وأطول . وكومة من الرمل الأحمر .. ومجموعة من المناشف الصغيرة ..

ومع طاهر بك كان هناك شابان مساعدان له .. وبدأت التجربة كما يلى : لمس الدرويش قفاه بيده وضغط بقوة بأصابعه .. بينما قام بيده الأخرى بالضغط على جبهته .. وبعد ذلك بدأ يتنفس بقوة ويمتص الهواء بقوة .. وفى خلال دقيقة أغلقت عيناه .. ثم أصدر صرخة معينة ودخل فى حالة أقرب إلى الإغماء حتى إنه سقط مثل رجل ميت ولولا أن مساعديه أمسكا به بين أذرعهما .. وأصبح جسده متجمدا كقطعة من الخشب ، وقام المساعدان بتعرية الجزء الأعلى من جسده ووضعاه فوق المنضدة الطويلة .. وفى هذه اللحظة قام أحد الأطباء بقياس ضربات القلب وفوجىء بأنها تصل إلى ١٣٠ وهو ضعف الرقم الطبيعى .. ثم جاء المساعدان بقطعة الصخر الجرانيت التى يبلغ وزنها نحو ٩٠ كيلو جراماً .. ووضعاها على بطن طاهر بك العارية .. وقاما بالضرب عليها بالمطرقة بقوة بينما الجسم لا يزال متصلبا كقطعة من الحديد حتى انشطرت الصخرة إلى قطعتين .. سقطتا على الأرض .. ثم ساعد الشابان الدرويش بالنزول والوقوف على قدميه وكان يبدو غائبا عن الوعى لا يدرك ما حدث ولا يشعر بأى ألم ..

وبعد ذلك وضع طاهر بك على اللوح الخشبى المغطى بالمسامير وقطع الزجاج .. ووقف أحد مساعديه فوق صدره والآخر فوق بطنه .. وكان كل منهما يقفز إلى أعلى وينزل .. وعندما فحص الأطباء ظهر طاهر بك فوجئوا بأن ظهره لا يحوى أى علامة بشىء غير عادى .. ولم تظهر نقطة دم واحدة من المسامير وقطع الزجاج .. وعند قياس النبض بلغ ١٣٢ ..

وساعده الشابان على الوقوف على قدميه حيث كان يفتح عينيه ببطء ، وكأنه خارج من حلم .. وظلت عيناه على هذه الحال لمدة نصف ساعة حتى بدأ يفيق ويعود إلى الطبيعة حين بذل جهدا عنيفا لاستنشاق الهواء وفتح فمه بدرجة كبيرة حتى إن الحاضرين بدا لهم أنهم رأوا لسانه ، يدخل إلى زوره .. وبعد أن تنفس للحظات استخدم أصبعه لإعادة اللسان إلى مكانه ..

ولم يسترح طاهر بك أكثر من دقيقتين حين خضع لاختبارات أخرى فقد طلب الأطباء أن يخرقوا فكيه بدبوسين صغيرين .. وقام أحدهما بالفعل بإدخال الدبوس من الخارج إلى داخل الفك .. وكان طاهر بك مستيقظا ومدركا لما يحدث ولكنه لم يَبْدُ عليه أى ألم .. بل حتى عندما سمح لطبيب آخر بوضع خنجر فى زوره وإدخاله فى الحنجرة من الخارج .. لم يشعر الدرويش بأى ألم بعد أن دخل الخنجر لمسافة سنتيمتر على الأقل من اللحم .. ولهذا فإن الأطباء فحصوا عينيه جيدا لمعرفة ما إذا كان قد استخدم أى نوع من المخدر .. ولكن كل شىء كان يبدو طبيعيا ..

وكان الشىء الذى أدهش الأطباء أكثر عدم وجود دم على الإطلاق على جلد طاهر بك .. وقد أجروا تجربة بعمل قطع فى وجهه بقطع من الزجاج وكذلك بسكين فى كتفيه وصدره .. ولكن كانت النتيجة جروحا بلا دماء .. وسأل أحد الأطباء طاهرا بك عما إذا كان يستطيع أن يخرج دماء من الجروح .. وعلى الفور بدأ الدم يتدفق حتى غطى صدره .. وعند نقطة معينة توقف الدم بمجرد استخدام قوة الإرادة .. وخلال دقائق قليلة كانت الجروح قد شفيت تماماً ..

وكانت التجربة الأخرى المرور بشعلة من النار المتقدة على أحد قدمى طاهر بك حتى كانت تسمع أصوات طقطقة لحم القدم

بسبب النار بينما لا يبدو على وجهه أى تغير أو ألم .. وهنا أجرى أحد الأطباء اختباراً آخر لمعرفة ما إذا كان الدرويش قد تناول أى مخدر .. وثبت عدم وجود أى شىء غير عادى ..

بعد ذلك قام طاهر بك بتجربة قدرته على السيطرة على الحيوانات بتنويم كل من الأرنب والدجاجة مغناطيسيا بالضغط على عصب فى رقبة كل منهما والمرور بيديه على نفس العصب عدة مرات .. بعدها كان كل من الأرنب والدجاجة لا يتحركان من المكان الذى يضعهما فيه طاهر بك ..

وفى النهاية كان موعد أهم تجربة وهى الدفن حيا .. وقد أجريت هذه التجربة تحت شروط مشددة بعد السماح بأدنى قدر من الشك فى صدقها ..

فبعد فحص دقيق لأرضية الشقة جاء المساعدان بالنعش ووضعاه فى وسط الحجرة .. التى كانت أرضيتها مصنوعة من بلاطات الموزايكو .. وتم التأكد من عدم وجود أىّ إمكانية لدخول الهواء إلى النعش .. وبعدها دخل طاهر بك فى حالة الإغماء الكلى كما فعل فى التجارب السابقة .. ثم قام الأطباء بفحصه ليجدوا أن التنفس قد توقف تماما وكذلك دقات القلب .. ووضع الجسد فى النعش وتم إغلاق الفم بقطعة قطن كبيرة ثم غطى النعش بالرمال الحمراء حتى آخره ..

وجلس الأطباء الذين حضروا التجربة فى اندهاش وتعجب من أنهم قد سيطروا على كل شىء وفحصوا كل شىء .. وإذا عاد هذا الرجل للحياة فإنها ستكون قدرات خارقة للطبيعة - من وجهة نظرهم - وكان الاتفاق أن يستمر طاهر بك فى هذه لمدة ساعة ونصف .. وقبل انقضاء هذه المدة بدقائق قام المساعدان بإخراج

الجسد من النعش .. كان لون الجلد أقرب إلى اللون الرمادى وكان متصلبا تماماً .. وبعد دقائق وفى الوقت المحدد بدأ يتنفس ببطء وتتحرك جفون عينيه .. وبعد ١٠ دقائق تماما عاد تماما لطبيعته وجلس على مقعد وأخذ يتحدث عن تجربته الغريبة ..

قال : «لقد كانت إغفاءتى كاملة حتى إننى لا أذكر شيئاً بالمرة عما حدث لى بعد أن أغلقت عينى .. وحتى استيقظت فى اللحظة التى حددتها لنفسى ..

بعدها بأيام قام برنتون بزيارة لشقة طاهر بك هذه المرة لإجراء حوار معه ومناقشته حول هذه التجربة .. قال طاهر بك إن البعض يظنون خطأ أنهم عندما يضعون المسامير فى فكى فإن كل ما أفعله هو إجبار ارادتى على مقاومة الألم .. وإذا كان هذا صحيحاً فلماذا لا تظهر أى جروح على جسدى بعد كل هذا الوخز ؟ .. الحقيقة أنهم لم يستطيعوا بعد الفكاك من أسلوبهم الذى اعتادوه فى التفكير .. ولم يتصوروا حقيقة تفسيراتى لما يحدث .. إن ما يحدث يعود إلى اثنين من الأسرار .. الأول هو الضغط على بعض المراكز العصبية ..

والثانى القدرة على الدخول فى حالة إغماء أشبه بالغيبوبة .. ويمكن لأى شخص مناسب ومستعد للدخول فى تدريب طويل قمت به حتى أستطيع على نفسى لأداء ما أقوم به .. وبدون هذا فإننى لا أدعى أن لدى الشجاعة على تحمل الألم .. فلست مثل هؤلاء الهنود الذين يتطوعون لتحمل الألم والمعاناة .. كل ما أشاركهم فيه هو قدرتى على الحياة الروحية ..

ويضيف طاهر بك إن السيطرة على المراكز العصبية والدخول بقوة فى غيبوبة تجعل اللحم البشرى لا يتأثر بالألم مهما كان

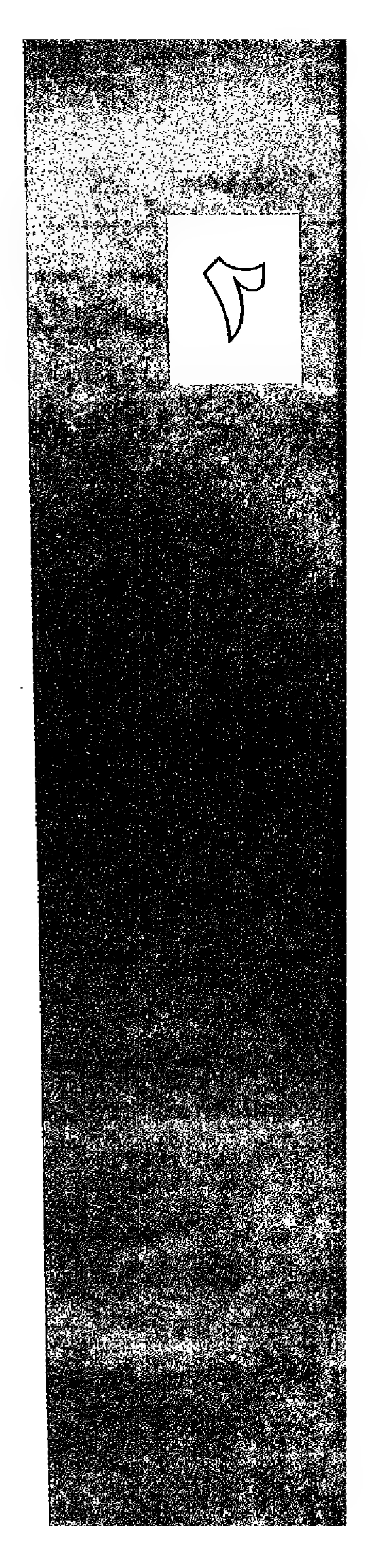
وهذا يأتى بالتجربة والتدريبات .. وعن قدرته على ابتلاع لسانه حتى يمنع أى حشرات أو جراثيم من دخول جوفه قال طاهر بك إن هذا أيضا يأتى بالتدريب وأن والده كان يحرك له لسانه وهو لا يزال رضيعا .. أما عن تحديد فترة الذهاب فى غيبوبة طويلة .. والاستيقاظ فهو يقول إن الإنسان- أى إنسان- يمكنه أن يحدد موعد استيقاظه فى الصباح قبل النوم ليلاً .. وينجح فى ذلك لأن العقل الباطن لا ينام أبداً ..

وعندما سأل برنتون طاهرا بك عما يتذكره فى لحظات الدفن حيا .. أى ما يحدث للروح قال طاهر بك إنه لا يمكن أن يقول شيئاً لأنه لا يريد أن يبدو إنساناً يعرف أسرار ما وراء الحياة .. إن هناك أعماقا غامضة لم نستطع اقتحامها بعد .. إن الأمر هو أننى عندما أذهب فى إغفائى أصبح فى حالة ذلك الذى يسير وهو نائم .. وعندما أعود إلى الحياة الطبيعية لا أتذكر أى شىء ..

وأضاف قائلاً : «إن علينا أن نقبل الحقائق كما هى .. أو كما نجدها» ..

وبرغم أن الحوار استمر لفترة فإنه تركز أساسا على المظاهر التاريخية لعملية دفن البشر أحياء ، وتأثيراتها على الجسد على المدى القصير .. ولكن بالنسبة لبرنتون فقد كان اللقاء مع طاهر بك واحداً من أهم وأعظم أعماله فى سعيه وراء الحقيقة .

* * *



* صانعوا المعجزات في بناريز: معلم اليوجا يعيد الحياة للموتى ويصنع من الهواء حلوى وفواكه ويقول: هذه أسرار أشعة الشمس.

« صانعوا المعجزات فى بنازير »

كلير سميث

تعد مدينة بناريز أو فارانازى كما تعرف اليوم من أقدم المدن فى العالم .. وهى تقع فى المنطقة الوسطى من شمال الهند على نهر الجانج وتعتبر هى أقدس المدن المقدسة لدى الهندوس .. فقد قاومت الكثير من الهجمات والغزاة .. بداية من عام ١١٩٤ حتى ١٧٧٥ عندما تعرضت للغزو البريطانى .. وفى كل عام يزورها مليون أو أكثر من الحجاج للاستحمام فى مياه الجانج المقدسة .. ونظراً للاعتقاد بأن من يموت فى بناريز يذهب مباشرة إلى الجنة .. فإن النهر يكون مشغولا دائما بهؤلاء الذين يلقون فيه برفات الموتى بعد حرق الجثث ..

وكان أول رد فعل لبول برنتون عندما دخل هذه المدينة لأول مرة أن لها رائحة غير مقدسة بالمرة .. وذلك لأن طرقها ممهدة بخليط من الطين وروث الأبقار .. وبرغم هذا ولأنها مدينة مقدسة فإنها هدف لا يمكن أن يتجنبه عقل برنتون الساعى للبحث عن الحقيقة .. وعن حل الغموض والفلسفات ..

وقد سجل برنتون جولاته فى الشرق فى كتبه التى بدأ يضعها خلال الثلاثينات .. وفى ذلك الوقت كان شابا مسلحاً بمجموعة من الأوراق وكاميرا للتصوير .. وبالإضافة لكتب الرحلات فقد كتب

أيضا كتابين عن التصوف .. وعن اليوجا .. وبرغم أنهما كتابان موجَّهان للقارئ الغربى فإنهما يتضمنان عرضاً جيدا لجوهر الصوفية فى الشرق بمعناها الفلسفى والعملى .. وهما يوضحان الدافع الحقيقى لبرنتون باعتباره رجلاً يسعى للمعرفة والبحث عن الحقيقة ومستعداً للسفر آلاف الأميال للعثور عليها وتسجيلها وتحليلها ثم تقديمها فى شكل منطقى عقلانى للعقل الغربى .. ولكن لأى هدف كان ذلك ؟ .. ربما كان استجابة لشعور داخلى سيطر على الكثير من سنوات عمره ..

لذلك فلم يكن من قبيل المصادفة أن جاء برنتون إلى مدينة بناريز المقدسة .. وفى جيبه قطعة ورق تحمل اسم وعنوان واحد من صانعى المعجزات .. من هؤلاء الذين التقى بأمثالهم فى بومباى .. كان الرجل من أتباع مدرسة اليوجا .. ويدعى فيشوظانندا .. لم يكن برنتون يعرف أى نوع من الاستقبال سيستقبله الرجل ..

وليحدد العنوان بدأ برنتون رحلة فى شوارع بناريز العتيقة على قدميه .. برغم ما فى الرحلة من أخطار يعرفها من وجود مظاهر عدائية ضد أى أوربى يتجول وحيدا فى المدينة المقدسة حتى إن أحدهم أطلق عليه سهما لإصابته ولكن السهم مرق بجانبه دون أن يصنيبه .. وعندما استدار إلى الخلف لم ير أحداً .. وسرعان ما وصل إلى حى تبدو منازله أكثر اتساعا وهنا عثر على وجهته .. بوابة كتب عليها فيشو ظانندا ..

والوصول إلى المنزل كان شيئاً .. أما دخوله فهذا شىء آخر .. فشرفة المنزل كان يحرسها شاب تبدو عليه ملامح الغباء وعدم الفهم .. وعندما سأل برنتون عن معلم اليوجا لم يفعل الحارس الشاب شيئاً سوى أن هز رأسه .. وقال إنه لا يوجد أحد هنا ..

وكان انطباع برنتون أنه ربما كان الحارس الشاب يعتقد أنه لا يمكن أن يكون هناك عمل يربط بين شخص أوربى وبين معلم اليوجا .. ولكن برنتون - والإصرار يحركه - اتجه إلى المنزل ودخل تاركا الحارس فى شرفته .

وفى إحدى الحجرات الداخلية عثر برنتون على هدفه .. رجل مُسِنّ له لحية طويلة يجلس على أريكة بينما انتشر حوله مجموعة من الهنود ، وبالطبع يمكن تخيل وقع المفاجأة من هذا الاقتحام الذى قام به برنتون .. ولكن برنتون سارع بتقديم التحية التقليدية « سلام ياسيدى » ثم بدأ يفسر سرَّ وجوده .. قال إنه كاتب ودارس للفلسفة الهندية والحكمة .. ويفهم جيدا أن المعلمين المقدسين لا يقومون باستعراض قدراتهم علنا .. ولكن نظراً لاهتمامه العميق بالحكمة القديمة فإنه يرجو أن يكون استثناء ..

بدأ التلاميذ المنشرون الجالسون على الأرض ، يحملقون فى اندهاش لبعضهم البعض .. ثم إلى معلمهم فيشوظاننددا .. وهو رجل تعدى السبعين .. له عينان واسعتان عميقتان .. وأنف قصير فوق لحيته الرمادية الطويلة .. وفوق رقبته علق خيط البراهمين المقدس .. وقد ركز عينيه على الزائر الأوربى .. بينما شعر برنتون بخوف وقلق يملآن المكان ..

واعلن فيشوظاننددا باللغة البنجالية عن طريق أحد تلاميذه أنه لا يمكن السماح بمتفرج ما لم يحضر برنتون بصحبة الباندت كافيرى .. رئيس كلية سانسكريت الحكومية ليعم لمترجما .. فقد كانت الباندت من تلاميذ المعلم منذ وقت طويل وهو يتحدث الإنجليزية جيداً .. وتم تحديد الرابعة بعد ظهر اليوم التالى موعدا ..

وبعد أن أعرب برنتون عن شكره وغادر المكان كانت الخطوة

التالية هى العثور على البانديت كافيرى .. ولكنه هذه المرة استأجر عربة خشبية لتوصيله إلى كلية سانسكريت .. حيث وجد كافيرى قد عاد إلى منزله .. فذهب من فوره إلى هناك .. وكان محظوظاً هذه المرة .. فقد عثر على الرجل جالسا على الأرض فى حجرة علوية تحيطه الكتب والوثائق، وبعد أن شرح له برنتون مهمته .. وبعد شىء من التردد وافق الباندبت على الموعد المحدد لليوم الثانى ..

وفى اليوم التالى - كما هو متفق عليه - وصل البانديت كافيرى وبرنتون إلى منزل فيشوظانندا فى الرابعة تماما .. وفى هذه المرة لم يكن هناك مشكلة فى الدخول .. كان المعلم فى غرفته يحيط به نحو ستة من التلاميذ ودعى برنتون للجلوس بالقرب من الأريكة التى استلقى عليها المعلم ..

وعلى الفور سأل فيشوظانندا برنتون عما إذا كان يريد أن يرى بعض الأعمال الخارقة .. فسعد برنتون وفوجىء بهذا .. وطلب المعلم منديلا حريريا .. ولحسن الحظ كان لدى برنتون هذا المنديل فأعطاه للمعلم الذى أخرج عدسة زجاجية صغيرة يستخدمها فى تركيز أشعة الشمس .. وفى ذلك الوقت من اليوم لم تكن الشمس مشرقة مباشرة على الحجرة .. ولكن المعلم تغلب على المشكلة بإرسال واحد من تلاميذه إلى الخارج ومعه مرآة صغيرة ليعكس أشعة الشمس داخل الحجرة ..

وقال فيشوظانندا : «والآن سوف أصنع لك رائحة طيبة من الهواء فماذا تختار ؟» قال برنتون : أريد رائحة الياسمين الأبيض القوية .. بعدها أمسك المعلم بالمنديل فى إحدى يديه ثم وضع العدسة فوقه لمدة ثانيتين فقط .. وعندما أعطى المنديل لبرنتون كان وكأنه قد نقع فى سائل الياسمين الأبيض ..

نظر برنتون بدقة إلى المنديل .. لم يكن هنا أى دليل لوجود رطوبة أو بقع تدل على أن سائلا قد سقط فوقه .. وهنا عرض فيشوظانندا تكرار تلك التجربة .. واختار برنتون هذه المرة عطر الورد .. وبدأ يرقب كل حركة يقوم بها المعلم .. ويفحص عن قرب يديه ورداءه الأبيض ولكنه لم ير شيئاً .. وأعيدت التجربة باستخدام طرف آخر من المنديل الذى امتلأ هذه المرة برائحة عطر الورد ..

وناشد برنتون المعلم تكرار التجربة .. وكانت هذه المرة رائحة البنفسج .. وكان برنتون هذه المرة يراقب كل شيء بدقة .. وامتلأ المنديل الحريرى بعطر البنفسج .. ونظر برنتون إلى وجوه الحاضرين حيث وجد الانطباع لديهم جميعاً بأن ما قام به المعلم ليس سوى سحر حقيقى ..

وعندما هم برنتون بمغادرة المكان قال فيشوظانندا لبرنتون انه يجب أن يريه معجزة أخرى .. ولكنها تحتاج إلى ضوء الشمس .. وأضاف المعلم انه إذا عاد برنتون مرة أخرى ظهر آخر ايام الأسبوع فإنه سيصنع أمامه شيئاً نادر الحدوث وهو إعادة الحياة لإنسان ميت .. وبالطبع وافق برنتون بشغف ولكن بشيء من الشك .. فإحياء الميت أمر مختلف تماما عن إنتاج روائح عطرية من الهواء .. وكان الشعور الذى يسود برنتون أن نوعا من الخداع سوف يستخدم فى هذه المرة ..

وفى اليوم الموعود عاد برنتون إلى منزل معلم اليوجا .. مرة أخرى بصحبة البانديت كافيرى .. وأوضح فيشو ظانندا أنه سوف يقوم بمعجزته على حيوانات صغيرة وبعدئذ يعيدها للحياة .. وطلب المعلم من أحد تلامذته أن يخنق عصفوراً .. ثم ترك العصفور لمدة ساعة لكى يتأكد الجميع من موته فعلاً ..

وقام برنتون بفحص العصفورة بدقة .. كان ريش العصفور بارداً ومتصلباً وعيناه محملقتين .. لم يكن هناك أى دليل على الحياة .. وفى نهاية الساعة أمسك المعلم بعدسته وركز أشعة الشمس فى أوجها على أحد عينى العصفور .. وركز فيشوظانندا عينيه على العصفور بينما لا إحساس فى وجهه ..

بعد دقائق قليلة بدأ فيشوظانندا يردد أغنية بلغة غير معروفة لبرنتون وبعدها بلحظات بدأت إحدى رجلى العصفور ترتعش .. ثم الريش الصغير يرتجف .. وبعد دقائق كان العصفور واقفا على قدميه .. وسرعان ما جمع قوته لنشر جناحيه .. ولمدة نصف ساعة كان يطير فى الحجرة ..

عقدت الدهشة لسان برنتون .. فقد بدا ما حدث أمامه شيئاً لا يصدق .. وبذل جهدا كبيرا للتخلص من دهشته ويؤكد لنفسه أن ما حدث كان شيئا حقيقيا وليس هلوسة أو حلما غريباً .. وبينما هو يلقى بنظرة إلى الحاضرين من تلاميذ المعلم لم ير برنتون شيئا أكثر من اهتمام بمراقبة العصفور ..

وفجأة وبدون تحذير سقط العصفور من الهواء على الأرض بلا حراك .. وقام برنتون بفحصه بدقة ومرة أخرى كان العصفور ميتا تماماً .. طلب برنتون من البانديت كافيرى أن يسأل المعلم عما إذا كان بإمكانه إعادة الحياة للعصفور لفترة أطول .. ورد فيشوظانندا بأنه بمزيد من التجربة فإنه يأمل أن يصنع أشياء أعظم .. ولكن ما قام به هو أقصى ما يستطيع فى ذلك الوقت .. وأضاف كافيرى بأنه يتمنى أن يكون قد اقتنع بما رأى .. وأن فيشوظانندا يمكنه القيام بمعجزات أخرى فهو يمكنه أن يأتى بالحلوى والفواكه من الهواء ويعيد الحياة إلى زهرة ذابلة ..

بعدئذ طلب برنتون من فيشوظانندا أن يحكى له قصة حياته وعلم أنه ولد فى إقليم البنغال .. وعندما كان عمره ١٣ سنة تعرض لحشرة سامة ومرض مرضاً شديداً حتى إن أمه يئست من شفائه وأخذته إلى ضفاف نهر الجانج ليموت هناك .. وبينما اقاربه قد جاءوا لحضور طقوس الجنازة قامت الأم بإنزال جسد ابنها فى الماء .. ولكن النهر المقدس رفض استقبال الجسد المحتضر فكلما اقترب جسد الطفل من الماء كان يرتفع مرة أخرى .. وعندما لاحظ أحد معلمى اليوجا ما يحدث حضر إلى أسرة الطفل .. وقال لهم إن هذا الطفل سوف يعيش وإن الله حفظ حياته لتحقيق أشياء عظيمة وإنه سوف يصبح معلم يوجا شهيراً .. وقام بعد ذلك بدعك الجرح المسموم ببعض الأعشاب وطلب من والديه العودة به إلى المنزل ..

وبعد ٧ أيام وصل معلم اليوجا ليقول لوالدى الطفل أن ابنها قد شفى تماما .. وكان هذا حقيقيا ، ولكن فى ذلك الأسبوع تغيرت تماما شخصية الطفل فهو لم يعد يسعد بالبقاء فى المنزل مع أسرته .. ولكنه يرغب بدلا من ذلك فى أن يصبح من ممارسى اليوجا الجوالين ..

وعندما سمح له بالخروج بدأ يبحث عن خبراء اليوجا وتوجه إلى التبت .. وهناك بين النساك عاش فى كهوف تغطيها الثلوج يبحث عن المعلم الذى يصبح معلما له طبقا لمعتقدات هؤلاء من ممارسى اليوجا وأسرارها ..

وعاد الطفل محبطا إلى أهله ولكن إصراره استمر .. وفى زيارة ثانية قام بها إلى جنوب التبت وجد مبتغاه .. رجلا ـ قال فيشوظانندا ـ إن عمره ١٢٠ سنة .. وقالها ببساطة وكأنه يذكر أن عمره ٥٠ سنة فقط .. قام هذا الرجل بتعليم فيشوظانندا مبادىء علم اليوجا والتحكم فى الجسم .. وفن علم الفلك ..

وظل فيشوظانندا مستمرا فى تدريباته فى منطقة الجبال لمدة ١٢ سنة ثم عاد إلى الهند حيث أصبح معلما لليوجا فى مورى بميناء البنغال حيث كان له منزل كبير .. ومن بين تلاميذه كان كل الهندوس من الطبقة العالية ومعظمهم من التجار الأثرياء والمسئولين الحكوميين وملاك الأراضى ..

وسأله برنتون : كيف تؤدى الأعمال التى أظهرتها لى ؟ .. فرد عليه قائلا : إن ما شاهدته ليس نتيجة ممارسة اليوجا .. إنه نتيجة معرفة علم الشمس .. فاليوجا هى تطوير لقدرة الإرادة والتكيز الذهنى .. أما علم الشمس فهو مجرد مجموعة من الأسرار ولا يتطلب الأمر إلا تدريبيا خاصا لاستخدامها .. ويمكن دراستها بالضبط مثل أى علم مادى فى الغرب .. وهى ليست شيئاً جديداً وكانت معروفة تماما لعظماء معلمى اليوجا فى العصور القديمة .. أما الآن فإن هذا العلم لا يعرفه إلا القليلون .. فهناك عناصر منح الحياة فى أشعة الشمس وإذا علمت كيف تختار وتفصل بين هذه العناصر فإنك أيضا يمكن أن تقوم بمثل ما أقوم به .. إن هناك قوى خاصة فى ضوء الشمس يمكن السيطرة عليها لتقدم لك قوى سحرية ..

وسأل برنتون فيشوظانندا عما إذا كان يقوم بتعليم هذه الأسرار لتلاميذه فقال له إنه يختار بعض التلاميذ فقط لنقل هذه الأسرار عندما يكون على استعداد .. وانتقل برنتون إلى معمل كبير بنى بهدف هذه الدراسة والتجربة .. وهو بناء حديث مبنى بالطوب الأحمر .. وعلى النوافذ ألواح من الزجاج الأحمر والأزرق والأخضر والأصفر والأبيض التى تعكس أشعة الشمس ..

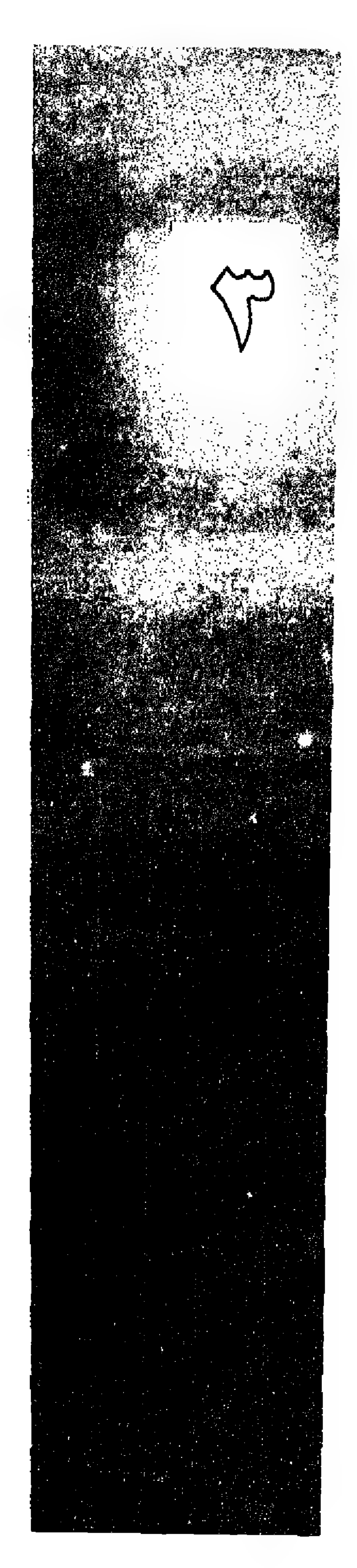
وعاد برنتون ليجلس أمام المعلم ويقول له إنه لم يفهم مطلقا أسرار السحر الشرقى .. وكما لو كان فيشوظانندا قد قرأ أفكار

برينتون قال فيشوظانندا إنه لا يمكنه أن يتعامل معه كتلميذ ما لم يحصل على موافقة مسبقة من معلمه فى التبت وإن هذا هو الشرط الذى يعمل بمقتضاه..

وبرغم أن برنتون كان يدرك أن مثل هذا الطلب لن يحظى بالموافقة فإنه سأل كيف يتصل فيشوظانندا بمعلمه فى التبت.. فرد قائلا : إننا على اتصال تام من خلال دوائر داخلية.. وأضاف أنه مالم تمارس اليوجا فإنك لا يمكن أن تحقق الإشراق.. وعندما تكون مستعدا فإنك سوف تجد معلما.. وبدأ بالفعل يعلم برنتون كيف يمارس السيطرة على الجسد.. من خلال عدد من الأوضاع.. وقال له : ككل كائن حى يفكر ويعمل.. لذلك يجب أن يكون هناك تدريب لكل عملية.. فالجسد يعمل بناء على العقل.. والعقل يتفاعل مع الجسد فلا يمكن الفصل بينهما..

وفى النهاية سأل برنتون فيشو ظانندا : « هل اكتشفت ما إذا كان هناك هدف أو غرض للحياة ؟ ».. ابتسم التلاميذ من سؤال برنتون.. فالرجل الغربى فقط هو الذى يسأل مثل هذا السؤال.. ولم يحاول المعلم أن يجيب.. وترك الأمر للبانديت كافيرى الذى قال : بالتأكيد هناك هدف.. إن علينا أن نسعى للوصول إلى الاكتمال الروحى حتى نتحد مع الله »..

* * *



* خدعة الحبل الهندى .. لاتزال فى حاجة إلى بحث:

ابن بطوطة وحكاية عن الطفل الذى اختفى ثم عاد عبارة عن أجزاء منفصلة. ما حقيقة خدعة الحبل الهندى؟

« خدعة الحبل الهندى »

* كلير سميث

قال لى ضابط متقاعد فى الجيش الهندى ذات مرة : « إن من عاش فى الهند لمدة ٢٠ سنة ولا يزال يزعم أنه لا يؤمن بالسحر فهو إما أحمق أو كذاب .. فالهند ومنذ قديم الأزل هى بلد السحر ولا يوازيها فى ذلك بلد فى العالم .. إنها المكان الذى يولد فيه الغموض الذى يجذب الباحثين عن الحقيقة من كل أرجاء الكرة الأرضية .. وهى أيضاً المكان الذى ولدت فيه رياضة اليوجا التى يتراوح ممارسوها ما بين ربات البيوت .. وحتى كبار الكهنة والقساوسة ورجال الدين ..

ولعل الأعمال الخارقة التى يقوم بها رجال السحر هى أعمال غير عادية حقا .. ولكن أهم وأكثر المعجزات التى شاهدها الآلاف في العديد من الأماكن ومن بينهم رجل الطبيعة بيبى .. وحتى ماكسيم جوركى الروائى الشهير هى لعبة خدعة المشنقة الهندية .. التى أثارت جدلا شديدا فالبعض يقول إنه لا يوجد من يمكنه أن يؤديها .. والبعض يقول إنها مجرد هلوسة الحديث عنها ..

ودعونا الآن نبدأ بوصف هذه اللعبة كما جاءت فى أقوال الشيخ أبو عبد الله محمد الشهير « بابن بطوطة » أحد أبناء منطقة تايخير .. وواحد من أوائل الرحالة إلى الشرق ..

ففى القرن الرابع عشر كان الشيخ أبو عبد الله ضيفا على حاكم هانجشد .. وهو يقول فى كتاب الرحلات الشهير « ابن بطوطة » إنه ذات مساء كان ضيف شرف على مأدبة حضرها العديد من الأمراء والتجار المسلمين .. وأقيمت المأدبة فى إحدى القاعات الكبرى فى قصر الخان حيث كانت تؤدى الرقصات والأغانى وكذلك أعمال السحر .. وعندما دخل المساء توقفت الموسيقى وانسحب الراقصون وافسحوا المكان لشخص قوى البنية دخل إلى وسط القاعة .. كان يرتدى قميصا فضفاضاً .. وكان يحمل فوق كتفيه أكبر عباءة شاهدها الشيخ أبو عبد الله فى حياته فقد كانت مصنوعة من آلاف الريش وخيوط الفضة والذهب .. وكانت تخرج منها أضواء بجميع الألوان التى كانت أشبه بنيران بركان .. وفى نهايات هذه العباءة كانت هناك عيون مستديرة من اللونين الأصفر والأخضر كلون تلك الموجودة فى ذيل الطاووس .

وأمسك هذا الرجل الضخم فى يده بكرة خشبية .. مربوط بها حبل جلدى ورفع الرجل كرته الخشبية أعلى يديه وأخذ يدور ويدور أسرع فأسرع .. وتدور معه عباءته الملونة لتصبح كضوء الشمس .. وفجأة يتوقف عن الدوران السريع ويلقى بالكرة الخشبية بعيدا فى السماء .. وسواء كانت الكرة قد علت حتى أصبحت بعيدة عن مدى النظر .. أو أنها قد اختفت فى الظلام .. هذا ما لم يقله الشيخ أبو عبد الله . ولكن الكرة اختفت بينما الساحر لا يزال يمسك بالسوط الجلدى المرتفع فى السماء الذى لم يكن هناك أى سبب يدعو للشك فى أنه لا يزال مرتبطاً بالكرة الخشبية غير المرئية ..

وتوقف الساحر وأخذ يحملق فى الراقصين والمطربين الذين اصطفوا فى القاعة بينما كان هناك صبى صغير يعدو بين الجميع

يحاول الهرب .. ولكنه فى النهاية استسلم فى يد الساحر كمن قبل مصيره .. وسار ببطء حتى الحبل الجلدى وأمسكه وبدأ يتسلق .. لم يكن صبيا قويا ولذلك فإنه تسلق لبضع أقدام احتاجت منه إلى جهد كبير .. ولكنه فجأة بدأ كمن فقد وزنه وبدأ تسلقه أسرع وأسرع وأسرع .. وفى دقائق اختفى عن النظر ..

وبعد لحظة ساد فيها صمت بدأ المتفرجون ينظرون إلى أعلى بينما الساحر ينتظر شيئاً ما على ما يبدو .. ثم بدأ يُظهر علامات الضيق المتزايد .. ثم بدأ يصيح ويصرخ مرة بعد أخرى ولا مجيب .. وفجأة يلقى بعباءته ويحمل سيفا كان بجانبه .. يمسكه بأسنانه ويبدأ فى تسلق الحبل .. وفى أقل من ٣ ثوان كان الساحر أيضاً قد اختفى عن الأنظار .. وساد صمت لعدة دقائق بينما الجميع يحملق فى المكان الذى اختفى فيه الحبل ..

وفجأة تهتز أرجاء القصر بصراخ شديد .. شعر الشيخ أبو عبد الله بأن الدم فى عروقه قد تجمد .. إنها أعنف صرخات لطفل فى رعب خوفاً على حياته .. بدأ الشيخ يهمهم ويدعو ربه أن ينقذ الطفل .. وجرى الشيخ نحو المكان الذى صعد إليه الطفل فى السماء .. ولكنه لم ير شيئا .. واستمرت الصيحات والصرخات المرعبة .. ثم فجأة توقفت ثم ظهرت نقطة فى السماء تسقط بسرعة ويزيد حجمها .. وسقطت على الأرض بجوار الشيخ ، ما هذا ؟ إنها يدا الطفل لا تزالان تنزفان حيث إنهما انتزعتا من جسده منذ قليل .. تراجع الشيخ رعبا .. وظهرت نقط أخرى فى السماء .. إنها الذراع الأخرى للطفل .. ثم قدماه .. ورجله حتى الركبة .. وجزء آخر من القدم .. ثم رأس الطفل وعلى وجهه مرسوم كل الفزع ..

ركع الشيخ على ركبتيه يبكى وبينما هو هكذا رأى الساحر

ينزل على الحبل الجلدى .. بجوار ضحيته .. وسرعان ما القى عباءته الرائعة فوق بقايا الطفل وبدأ يؤدى رقصات شريرة .. كما لو كانت رقصات النصر وهو يقفز ويقفز لأعلى .. ثم يتوقف ويلتقط سيفه الدامى ويضعه فى غمده .. وبقوة يحمل عباءته ويضعها على كتفيه فى نفس اللحظة التى يظهر فيها الطفل سليما فى يده اليمنى يمسك الكرة الخشبية وهى تسقط من السماء ..

فى تلك اللحظة يعتقد الشيخ أنه قد أصيب بإغماء حيث إنه يتذكر أنه فوجىء بالضيوف الآخرين يساعدونه والحاكم يقدم له الماء .. وعندما أفاق وبدأ يصف ما رأى اندهش الآخرون تماما بوصفه .. وأكدوا له أنهم لم يروا حبلاً .. أو طفلا يتسلق .. أو اجزاء من جسد تسقط من السماء .. وكل ما شاهدوه كان رقصا عنيفاً والعاباً بهلوانية يقوم بها رجل يرتدى عباءة ومعه طفل صغير ..

ماذا حدث حقاً ؟ .. هل شاهد الشيخ فعلا حيلة الحبل .. أو هل كان فى حالة من الدخول الروحى؟ ولماذا كان من بين كل الضيوف هو الوحيد الذى رأى ما اعتقد أنه قد حدث .

إن نفس هذه الأسئلة يتم توجيهها لكل من حكى حيلة الحبل الهندية .. فوصف الجميع لها يتفق فى غموضه دون دليل مؤكد .. واعترف كل من شهدوها بأنه لم يجرءوا ـ فيما بعد ـ على مناقشة ما رأوه مع اقرب الناس إليهم .. والأوصاف لهذه الحيلة ..

القصة غريبة .. وتكررت على مدى قرون .. وقد أجرى بحث مكثف قامت به لجنة الدائرة السحرية عام ١٩٣٤ التى كان يراسها وقتها اللورد امبهتيل .. الذى كان ذات يوم نائب حاكم الهند .. وقررت اللجنة ، بعد الاستماع لشهادة الكثيرين ، أنه ليس هناك شىء مثل خدعة الحبل الهندى .. وهناك سببان لهذا .. الأول

هو أن كل القصص التى تحكى غامضة .. وغير مقبولة .. والثانى هو صعوبة تنفيذ ما يقوله الزاعمون سحراً .. وانتهت اللجنة إلى أن هؤلاء الذين قالوا إنهم شاهدوا خدعة الحبل الهندى لم يقولوا كل الحقيقة ..

وبرغم ذلك فإن تقرير اللجنة أدى إلى تزايد الحديث عن خدعة الحبل الهندى فى مجلة «لستز» .. ودفع الدائرة السحرية إلى أن تعرض جائزة مقدارها ٥٠٠ جنيه (وكان مبلغا كبيرا عام ١٩٣٤) لأى ساحر يمكنه إدراك خدعة الحبل الهندى .. فتقدم ساحر يدعى كاراتش أثار اهتمام هارى برايس السكرتير الشرفى لجامعة مجلس الأبحاث الروحية بلندن .. وجه برايس الدعوة لكاراتش لأداء الخدعة فى لندن .. وفى البداية رفض كاراتش الموقع الذى تم اختياره وكان حديقة فى مدينة هامبستيد .. وقال إنه يفضل العمل فى مكان متسع .. وسمح لكاراتش (واسمه الحقيقى آرثر كلاود ديربى) لاختيار الموقع بنفسه .. فاختار مكانا قرب هير تفورد شاير وبقى فيه عدة أيام يستعد للعرض ..

وفى يوم ٧ يناير عام ١٩٣٥ قام كاراتش بعرضه .. ونشرت مجلة «ليستز» موضوعاً مصوراً عنه فى ١٦ يناير ١٩٣٥ .. تجمع عدد كبير من شهود العيان فى الحفل فى إحدى ليالى الشتاء الباردة لمشاهدة الخدعة الشهيرة يؤديها رجل إنجليزى وابنه وقد قاما بتغطية وجهيهما باللون الأسود .. وكعملية «تسخين» قام كاراتشى وابنه ببعض ألعاب التوازن .. قبل أن تبدأ اللعبة الكبرى .. ألقى كاراتش بحبل للحاضرين .. وكان عبارة عن حبل عادى يبلغ طوله ٦ أقدام .. ثم أخذ كاراتش الحبل خلف ستارة من القماش متعددة الألوان .. وظهر الحبل وكأنه يرتفع من خلف الستارة .. وصعد الحبل (إذا كان هو الحبل فعلاً) إلى ارتفاع ٥ أقدام .. ثم بدأ ينزل ببطء خلف الستارة ثم ألقى كاراتش بحبل

آخر عادى للحاضرين .. ثم سحبه وبدأ الحبل يرتفع إلى ٨ أقدام .. وعند هذه النقطة وقف كاراتش وأمر ابنه أن يتسلقه .. وسرعان ما نفذ الابن الأمر .. ثم نزل مرة أخرى وانتهت اللعبة ..

وتم تصوير العرض على فيلم سينمائى ولكن بعد أن تم تقديمه إلى اللجنة رفضت تقديم الجائزة لكاراتش .. وردا على هذا الموقف أعلن كاراتش تحديه للجنة وعرض أن يؤدى الخدعة فى ظروف وبشروط يحددها هو .. ولكنه لم ينفذ ما قال ..

بعدها بعشرين عاما .. حقق شخص آخر من الباحثين عن المعرفة وهو الصحفى المغامر جون كيل - الذى اعتقد أنه قد عرف السر - قليلا من النجاح فى أداء التجربة .. وكانت السمة الخاصة به - كما يقول فى كتابه «جادو» هى السحر .. الفن المحظور .. وكان ميدان عمله المفضل هو تلال أفريقيا وسهول الهند .. وفى سعيه وراء المعرفة وجد كيل نفسه فى منطقة ساكندراباد حيث علم أن هناك ساحرا لديه بعض المواهب ..

وخرج كيل ليجد هذا الرجل .. وبحث طويلاً دون جدوى .. وفى النهاية وعلى قمة أحد التلال جلس لستريح قليلا بجوار بناء له قبة بيضاء .. ونظر بجواره فوجد رجلا عجوزا .. كان العجوز يرتدى مئزرا مما يرتديه الهنود وقبعة صغيرة فوق رأسه .. وفوجىء كيل به يناديه باسمه .. وعندما تحدث إليه قال الكثير من الأشياء الخاصة عنه .. وتوقف برهة ثم قدم إليه نصيحة خاصة بما كان يفعله فى الليلة السابقة ولم ينجح فيه ..

اندهش كيل .. ولكن الشكوك ساورته - وهو ما أدركه العجوز - الذى قال له إن الكثير من الأشياء التى يعتقدها - أى كيل - مستحيلة هى أشياء ممكنة وأنه يمكنه - على سبيل المثال - أن يقول له كيف تؤدى خدعة الحبل الهندى .. وقال له أيضا إنك

ياكيل لديك قوى داخلية هائلة لم تكتشف بعد .. وإذا توصلت إليها فإنه سيكون بإمكانك العثور على إجابات لكل ما تبحث عنه..

ولم يقل العجوز شيئاً آخر .. كما لم يسمح لكيل بأن يصحبه حينما قرر العودة .. وتركه محملقا في الفراغ وهو يدرك أنه على الأقل قد تعلم سر خدعه الحبل الهندي التي أثارت العالم الغربي طويلا - وهذا السر - على حد قول كيل - بسيط جداً «فالسر لا يكمن في الأرض ولا في الحبل ولكن في الهواء .. والأسلاك التي ترفع الحبل إلى أعلى .. ففي العصور القديمة كان السحرة يستخدمون حبلا طويلا مصنوعاً من شعور سوداء .. وكانت الخدعة تقدم بسبب عدم رؤية هذه الحبال .. ولكن كيف يظل الحبل مشدوداً إلى أعلى .. يقول كيل إن الخدعة تتم في المناطق الجبلية وليس في أماكن صحراوية .. وفي واد بين اثنين من التلال .. والحبل غير المرئي كان يربط ما بين قمة تل وقمة تل آخر .. وعندما يرسل الساحر حبله فإنه يمسك بهذا الحبل الذي لا يمكن لأحد أن يراه في ظلمة الليل.

وهناك تفسير بسيط أيضاً لحالات اختفاء الصبي الصغير الذي يتسلق الحبل إلى السماء حتى يختفي .. فإن المشاعل أو الفوانيس - كما يقول كيل - تصيب المتفرجين بالعمى الليلي عندما ينظرون إلى السماء المظلمة ..

وهكذا ففي بداية العرض يلقي الساحر بالحبل مرة أو اثنتين حتي يصل إلى مشبك في نهاية الحبل غير المرئي يدخل في فتحات الكرة الخشبية .. والمرة الثانية يلقي بالكرة ذاتها حيث يكون هناك مساعد يربطها بنهاية الحبل .. وبعدها يستدعي الساحر ابنه ويطلب منه تسلق الحبل .. وبالطبع يتحمل الحبل وزن الطفل الصغير .. وعندما يصل الطفل الصغير إلى نهاية الحبل فإنه يقوم

بتثبيت الكرة بقوة أكثر إلى الحبل غير المرئى حتى تتحمل وزن الساحر ..

وعندما يصل الساحر إلى نهاية الحبل فإنه يستخرج أجزاء مختلفة من عباءته الفضفاضة وهى أجزاء من حيوان مذبوح قبل قليل من بدء التجربة .. وغالباً ما يكون قرداً مذبوحا ملفوفا فى ملابس مماثلة لما كان يرتديه الطفل .. ويبدأ فى إسقاط أجزاء من الحيوان المذبوح بينما صرخات الطفل تتعالى .. حتى يلقى بالرأس فى النهاية ملفوفة فى عمامة ..

وبينما ينشغل المساعدون فى تجميع أجزاء القرد المذبوح ووضعها فى سلة ضخمة يضع الساحر الطفل فى ثوب مجهز معه .. وبمجرد أن يظهر الطفل من ملابس الساحر يكون هذا كافيا لإثارة تعجب المتفرجين الذين لا يفكرون فى شىء باستثناء ظهوره هكذا مكتملا بينما هم ينظرون إلى أجزاء جسده المقطعة التى لا تزال تنزف منها الدماء ..

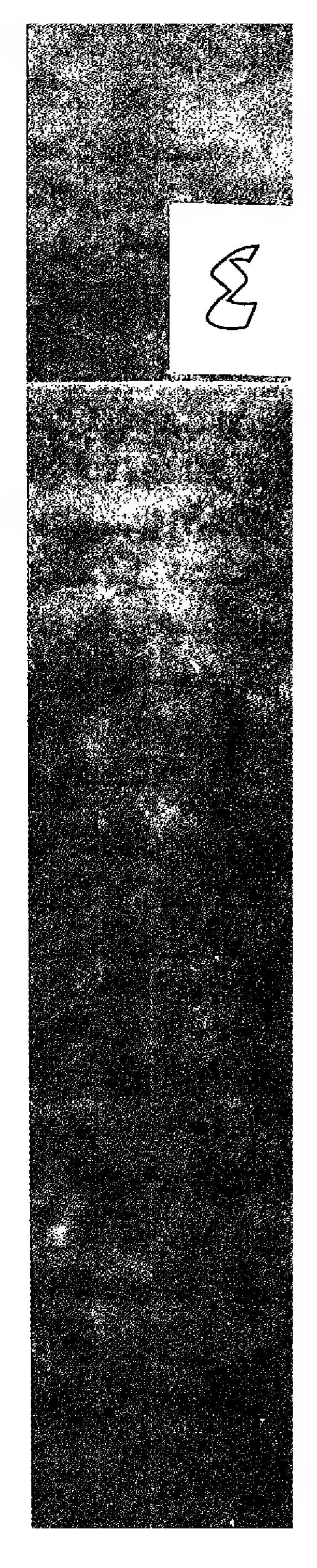
وإذا قرأت هذا السر وربطته بالقصة التى رواها الشيخ أبو عبد الله فإنك سوف تجد تفسيرا للعديد من الأشياء التى رواها .

وبرغم كل هذه التفسيرات المقنعة فإن جون كيل قرر أن يقوم بتجربته على خدعة الحبل الهندى فى نيودلهى .. وبعث بالدعوات واشترى حبلا طويلا وعثر على طفل ذكى يشاركه التجربة .. واختار ملعبا للجولف مليئا بالأشجار يقع بجوار معبد قديم .. وصنع مجموعة ضخمة من الخيوط السوداء حتى يصنع حبلا يرتفع إلى ٥٠ قدماً فى الهواء ..

وكان الطقس مشمسا .. والسماء صحوا فى ذلك اليوم .. وتجمع ٥٠ صحفيا لحضور العرض .. وفى اللحظة الأخيرة

عاصفة شديدة واشتدت الرياح بشكل يقول كيل إنه لم يجربه فى الهند من قبل .. مما أدى إلى تدمير كل التجهيزات المسبقة .. وهرب الطفل من المكان الذى كان مختبئاً فيه .. وأصيب كيل بخيبة أمل شديدة ..

وإلى الآن لم تقدم هذه الخدعة بنجاح أمام جماهير المتفرجين برغم أن السرقد أذيع .. ولم يتقدم أحد لنيل الجائزة من الدائرة السحرية .. ولم يحل أحد هذا اللغز .. ولا أحد يعرف سر هذه العاصفة التى فعلت ذلك بسبب الغيرة من هذا الإنجليزى الذى كشف عن أسرارها القديمة .



مدام بلافاتسكى وقدرات خاصة على تحريك الأشياء وقراءة الأفكار .

بعد موتها اشتعلت النار فى كل ما حولها .. ماذا تعلمت فى رحلاتها إلى العالم الخارجى ؟

٤ ـ الشرق الغامض :
« مدام بلافاتسكى والمهاتما »

كلير سميث

كانت مدام هيلينا بتروفنا بلافاتسكى سيدة رائعة غير عادية حقا .. فقد أسرت شخصيتها القوية النابضة بالحياة ألباب الناس وسحرتهم .. وأصبح لها أصدقاء كثيرون ولكنها فى غالب الأمر كانت تنصرف عنهم .. وبالرغم من أنه ثبت أن إقناعها لكل من عرفتهم تقريبا كان يعتمد على الحيلة والخداع فى بعض الأحايين فقد بقيت تعاليمها حتى يومنا هذا .. ومن المستحيل الا نسلم بأنها كانت تمتلك قوى وقدرات غير عادية .. ومن المستحيل أيضا ألا يعجب المرء بشجاعتها وحماسها ومثابرتها .. حتى فى مواجهة السخرية والمصاعب ..

ولدت مدام بلافاتسكى فى إقليم أيكانزينسلاف بروسيا سنة ١٨٣١ .. كان والدها ، وهو ألمانى فى خدمة القيصر ، حاكما لأحد الأحياء ، من الطبقات النبيلة .. أما من ناحية الأم فقد كانت حفيدة الأميرة هيلين دولجروكى التى كان أجدادها يرتبطون بروابط وثيقة بالعائلة الحاكمة ..

ولدت هيلينا طفلة مبتسرة مريضة ضعيفة .. ولهذا فقد تم الترتيب لتعميدها سريعا باستدعاء القس والشهود .. وعندما نطق القس نيابة عنها التخلى عن الشيطان اشتعلت النار فى ثوبه .. وأصيب الكثيرون بحروق ..

وقد اعتبر هذا ـ كعادة أهل المنطقة ـ نذير شر .. ولم يفاجأ أحد عندما بدت الطفلة وهى تتحول إلى ساحرة .. كانت الحوريات والجان هم رفقاءها الدائمين على الأقل داخل عقلها .. وبدأت خيالاتها تؤثر بقوة على المنزل الذى توجد فيه حتى إن القساوسة كانوا ينثرون عليها الماء المقدس فى محاولة لطرد الأرواح الشريرة .

ولفترة خلال السنوات الأولى للعقد الثانى من عمرها سافرت هيلينا بتروفنا كثيرا مع والدها .. وقد أدى هذا التوسيع فى نظرتها إلى جعلها أكثر استقلالية .. وإقناع أسرتها التى تعبت كثيرا بأن أفضل طريقة لكبح جماح اهتمامها غير الصحى بالأرواح وبالموت والفلك هو تزويجها .. وبالفعل تم ترتيب زواج بين هيلينا وكان عمرها ١٧ عاما وبين الجنرال بلافاتسكى حاكم إقليم أريفان .. وقالت هى عن هذا الرجل التعيس الحظ إنه كان ما بين الستين والسبعين من عمره .. وإنه كان مثل غراب بلا ريش .. وربما يبدو أقرب للصحة أن يكون الجنرال بلافاتسكى فى الخمسين من عمره آنذاك لأنه عاش بعد الزواج ثلاثين عاما أخرى .. ولابد أنه كان يملك من الحيوية ما يكفى للتوافق مع هذه الفتاة المستقلة المليئة بالحياة .. ومن المعروف جيدا أنه بالنسبة لهؤلاء النسوة اللائى يمارسن قراءة الطالع وعلومها ، تعتبر حالة العذرية شيئاً كبير الأهمية .. لذلك فإنه لم يعرف ما إذا كان الزواج قد اكتمل بمعنى دخول الجنرال بهيلينا (وقد أنكرت هى اكتمال الزواج طوال حياتها) .. وإن كان الزواج لم يستمر طويلا فسرعان ما تكرر الشجار بينهما وانسحبت العروس الصغيرة وبدأت تخرج لرحلاتها ..

وفيما بعد قالت هيلينا لأصدقائها إنها سافرت من روسيا إلى القاهرة حيث أصبحت تلميذة لدى قبطى مُسِنّ يمتلك قدرات

سحرية .. وبعدها سافرت إلى باريس حيث قابلت دانيل دنجلاس هوم .. عالم الأرواح الشهير الذى أراد أن يدربها لكى تصبح وسيطة .. ومن الممكن أن تكون هيلينا قد تعلمت منه الكثير بالرغم من أنها بعد ذلك بسنوات بذلت جهدا كبيرا فى دحض علم الأرواح واتخذت لنفسها دوافع مختلفة تماماً للإتيان بمعجزاتها ..

واستمرت رحلاتها ، ففى مدينة كويبك انضمت إلى القبائل الهندية سعيا وراء المعرفة ، وفى نيواورليانز تعلمت الكثير من « القدودو » نوع من السحر الأفريقى الذى لم يكن معروفا بين البيض آنذاك ..

وفى هذا الوقت بدأت فلسفة هيلينا بتروفنا ، التى أصبحت تدرس للكثيرين فيما بعد ، تتشكل فى خيالها وعقلها الباطن .. ولما كان قد ظهر لها مرة أو مرتين فى الحلم رجل هندى طويل حاد الملامح قالت هى عنه إنه رسول من خبراء التنجيم فى التبت .. فقد قررت أن تزور التبت وتبحث عن كبار السحرة والمنجمين الذين يمكن أن يلقنوها المعرفة .. الحقيقية .. وبالرغم من أنها قالت فيما بعد إنها ظلت فى عملية التلقين لمدة سبع سنوات فإن الوقت الذى قضته هناك بالتحديد لم يزد عن عدة أشهر .. ذلك أن وسائل معيشتها التى كان يتولاها والدها لم تكن كافية للسماح لها بالسفر لفترات غير محددة .. وفى عام ١٨٥٨ وبعد ١٠ سنوات من التجوال عادت إلى روسيا ..

وعندما عادت إلى موطنها كان هؤلاء الذين يذكرونها وهى طفلة قد أصبحوا شبابا شغوفين فقط بمعرفة مستقبلهم والاستماع لقصص عن أصدقائهم الذين ماتوا .. واستطاعت مدام بلافاتسكى أن تأسر ألبابهم حتى إنها كانت تقدم لهم إجابات مكتوبة على تساؤلات تدور فى أذهانهم .. وكانت تقدم الوصفات الطبية ..

والعلاج .. وقراءة المستقبل . وظهرت قدراتها القوية على السخط والغضب بانتقامها من سيدة كانت تشكك فى قدراتها .. فعندما طلبت منها هذه السيدة أن تحدد أفضل وسيط لتلقى دقّات التنجيم والسحر .. ردت قائلة « الذهب » وفى نفس اللحظة .. وقفت على قدميها ووضعت يدها على فمها .. وهنا انتزعت الحشد الذهبى بين أسنان السيدة بقوة ..

ومن الظواهر الأخرى التى كانت مدام بلافاتسكى تقوم بها فى ذلك الوقت قدرتها على تغيير وزن الأشياء سواء من الجماد أو الأحياء .. وذات مرة وبمجرد تركيز نظرها نجحت فى جعل مائدة شطرنج ثقيلة جدا حتى إن عددا من الرجال فشلوا تماما فى رفعها .. وبعد عدة محاولات رفعت مدام بلافاتسكى يدها دون اكتراث ونظرت فى مكان آخر فعادت المنضدة إلى وزنها الطبيعى ..

وربما كان أصعب من انضم إلى مريدى مدام بلافاتسكى فى ذلك الوقت هو والدها .. فلم يكن الرجل غير مكترث بمعجزاتها فحسب بل إنه كان يقول عنها إنها هراء .. وذات يوم أقنعه اثنان من أصدقائه القدامى أن يدخل حجرة أخرى ويكتب كلمة واحدة لا يعرفها أحد على الإطلاق فوق قطعة من الورق . وعاد الرجل من الحجرة الأخرى ليعلن أنه إذا ما نجحت ابنته فى إقناع « أرواحها » بكشف ما قد كتب فإنه سيصبح مضطراً فى النهاية إلى تصديقها ويعتبر نفسه أيضاً شيئاً جاهزا للأسر فى « مستشفى المجانين » ...

ودون أن تلمس اللوح الذى كانت تستخدمه لقراءة الأفكار .. نظرت مدام بلافاتسكى فى سعادة إلى اللوح تكتب عليه الكلمة .. وعندما شاهد والدها الكلمة المكتوبة ارتعش وتحول لون وجهه

إلى الشحوب .. لقد كانت هى نفس الكلمة التى كتبها .. وهى كلمة غريبة لاسم حصان محبب إليه لا إمكانية هناك لتخمينها .. وهكذا تحول الرجل إلى الإيمان بقدرات ابنته وكان فخوراً بنجاحاتها وظل يساندها حتى وفاته بعد ذلك بسنوات قلائل ..

وبعد قليل عادت شهرة هيلينا بتروفنا إلى الترحال تأخذها من جديد .. وفى النهاية استقرت بالقاهرة حيث أنشأت الجمعية الروحية .. وكانت ترتزق كوسيط لبعض الوقت .. وهذه الفترة من الفترات الهامة لأنها خلالها أصبحت صديقة لمدام كولومب التى كانت تتولى ضيافتها وإمدادها بالمال .. ولكنها أصبحت فى فترة تالية من حياتها هى العامل الرئيسى فى الانتقاص من قدراتها وشهرتها التى عملت مدام بلافاتسكى لسنوات عديدة من أجل تحقيقها ..

هذه الفصول الأولى من حياة مدام بلافاتسكى هى فصول موثقة بصورة غير كاملة .. ولكن قصتها المعروفة تبدأ بالفعل منذ وصولها إلى أمريكا فى بدايات عام ١٩٧٠ ولقائها مع الكولونيل هنرى أولكوت .. الذى تولى كتابة قصة حياتها وكان لديه اهتمام بالبحث عن الحقيقة .. وبالرغم من أنه قد يكون منحها فائدة الشك فى العديد من الأمثلة فإنه كان صحفيا .. أى رجلا من أصحاب العقل الفضولى .. ولم يكن أحمق أو غبيا .. فإذا كانت مدام بلافاتسكى هى الينبوع الذى شربت منه الجمعية الثيوصوفية .. أو التأملية الفلسفية فإن الكولونيل كان هو المدير .. وهو المؤمن بها .. وبرغم أن العلاقة بينهما كانت عاصفة أحياناً فإن الاتحاد بين مواهبهما خلق إيمانا استمر .. صحيح أنه بين أقلية .. ولكنه استمر حتى يومنا هذا ..

كان اهتمام الكولونيل أو لكوت بالروحانيات غير عادى وفى

أكتوبر عام ١٨٤٧ حضر الكولونيل جلسة روحية اشترك فيها وسيطان هما الأخوان أبيرى .. فى ذلك الوقت جذب انتباهه بقوة مشهد ملىء بالحياة .. فى ذلك الوقت كانت مدام بلافاتسكى ترتدى قميصا أحمر براقا لامعا وربما لم تكن أكثر بدانة فى أى وقت مثلما أصبحت بعد ذلك .. ولكن شخصيتها القوية تسيطر تماما على أى مكان توجد فيه .. وقد وصفت هى مظهرها بنفسها بأنها «قلموقية بوذية طريرية» والقلموقية هى فرق من إحدى قبائل القلموق المغولية البوذية .. وهى صاحبة وجه غريض مسطح وملامح قاسية يوازنه يدان جميلتان صغيرتان يزينهما العديد من الخواتم .. أما عيناها فلونهما بين الأزرق والرمادى واسعتان معبرتان قويتان .. وشعرها بنى اللون كثيف متجعد كصوف الماشية ..

وقد اصطبغت أصابع اليد اليمنى بلون بنى من السجائر التى لا تتوقف عن تدخينها وكان هذا شيئا غريبا فى تلك الأيام .. وكان حديثها بأكثر من لغة وكانت تحشده دائماً بالقسم للتأكيد ..

وقبل أن تنتهى هذه الأمسية كانت مدام بلافاتسكى قد أسرت لب الكولونيل أولكوت الذى لاحظ بالإضافة إلى ذلك أن الأخوين أبيرى وباقى الوسطاء الروحيين قد حققوا نجاحا أكبر فى وجود مدام بلافاتسكى فى الجلسة ... وهذا جاء تأكيداً لحقيقة أن الأرواح الحقيقية فقط هى التى استدعيت .. ليس هذا فقط بل إن هؤلاء الوسطاء الروحيين كانوا يخضعون لسيطرة أرواحهم التى يستدعونها بينما مدام بلافاتسكى فى ظروف مماثلة كانت هى التى تسيطر على الأرواح لكى تنفذ إرادتها وهى بكامل وعيها ..

ونتيجة لاهتمام الكولونيل أولكوت بها ومقالاته فى الصحف حققت مدام بلافاتسكى شهرة ضخمة فى أمريكا .. وأخذت شقة

في نيويورك أطلقت عليها اسم «دير الرهبان اللاميين» ملأتها بمجموعة من الحيوانات والطيور المحنطة مثل الثعابين والقرود والبوم ورأس أسد معلقة في الجدار .. وفي وسط هذا صنعت مكان جلستها وهي ترتدي ثوبها المفضل وهو عبارة عن أقمشة صحراء اللون زيتية .. وكان تأثير هذا الجو يبدو مضحكاً لغرابته ولكن حماسها مع شخصيتها الجذابة كان يجمع حولها الصفوة من كل هؤلاء المتطلعين لمعرفة المستقبل وقراءة الطوالع وهو ما كانت أمريكا كلها آنذاك شغوفة به ..

وفي عام ١٨٧٥ كانت نقطة تحول في حياة مدام بلافاتسكي .. فمن الروحانيات قررت أن تتحول إلى هؤلاء الزعماء الدينيين الذين طالما فكرت في أنهم سوف يرشدونها إلى كشف ونشر المعرفة حول القوانين التي تحكم الكرة الأرضية .. ومن أجل هذا قامت بالاشتراك مع الكولونيل أولكوت و ك . جورج وهو أحد قراء الطالع بتأسيس الجمعية الثيوصوفية (أو التأملية الفلسفية) .. كان هدف الجمعية هو السيطرة على قوى الطبيعة من خلال هؤلاء الخبراء سادة المعرفة من سكان التبت .. هؤلاء السادة أو المهاتا يمكنهم تجسيد أنفسهم والأشياء الطبيعية الأخرى حيثما يريدون - ويمكنهم أن يروا الماضي ويطلعوا على المستقبل ويطيلوا حياتهم بإرادتهم .. إن بإمكانهم أن يستخدموا قدراتهم من أجل الشر وهناك بالتأكيد - على حد قول مدام بلافاتسكي - من يقومون بذلك ولكن اهتمام الجمعية يقتصر فقط على العمل من أجل الخير ..

وعلى الرغم من أن إنشاء الجمعية تم بشكل جيد إلا أن مدام بلافاتسكي والكولونيل سرعان ما واجها مصاعب مالية ولم يجدا من الأموال ما يكفي لتوسيع نطاقها .. لذلك رحبت مدام بلافاتسكي والكولونيل بأن يدخل إلى دائرتهم رجل مُسِنّ غني

يدعى البارون دى بالم .. وبعد قليل من انضمامه إلى الجمعية كتب هذا البارون وصية أعلن فيها ترك كل ممتلكاته للكولونيل أولكوت لاستخدامها من خلال الجمعية الثيوصوفية .. ثم مات البارون بعد فترة قصيرة .. وتلقت الجمعية التهانى على ما ورثته عن البارون ولكن خاب أملهم عندما اكتشفوا أن كل ثروات وأراضى البارون ثبت أنها خيالية .. فقد كان يعيش لسنوات على حساب الآخرين .. وكانت الوصية هى آخر النكات التى أطلقها ..

وتعاقبت الأمور من سيء إلى أسوأ .. فبينما أصبحت الجمعية مثاراً للسخرية بالفعل .. دخلت فى أمر آخر يسيء لسمعتها ، من جانب مدام بلافاتسكى ذاتها .. فلسبب لم يعرف له أحد تفسيراً (وخاصة أن الجنرال بلافاتسكى كان لا يزال على قيد الحياة) تزوجت من شاب أرمنى جلف أصغر منها بكثير .. ربما لأنها اعتقدت أنه من الأثرياء .. وعلى أى مستوى لم تسمح هى مطلقا للزواج بأن يكتمل وبعد أشهر قليلة عندما اكتشفت أنه لا يملك شيئاً تركته ..

وفى هذه الأثناء صدر كتابها الأول وعنوانه معناه كشف أسرار إيزيس ، وكان عملا رائعاً عبارة عن مجموعة متنوعة من الأديان والمعتقدات والأساطير من كل العصور والأماكن .. وشهد أولكوت الذى كان معها خلال كتابة هذا العمل أنه مقتنع تماما بأنه فى وقت كتابة العمل لم تكن مدام بلافاتسكى ولكن كان هناك روح أحد خبراء الأديان تسكن جسدها مؤقتا وبالفعل فإن مثل هذه الاختلافات فى الأسلوب والثقافة والأدب فى عمل واحد من الصعب تفسيرها وقد زاد الكتاب كثيراً من شهرة مدام بلافاتسكى ، ولكنها قررت أن تتوقف للحظة وتبدأ فى الدراسة بدلا من التدريس .. وقررت هى والكولونيل أولكوت السفر إلى الهند .. حيث كان قد تم قبل وصولهما بفترة إنشاء جمعية اسمها « أريا

ساماج » بهدف إحياء المبادىء القديمة والأسرار الصوفية للديانة الهندوكية .. وكان رئيس هذه الجمعية على اتصال بالكولونيل أولكوت .. لذلك فإن سفره هو ومدام بلافاتسكى إلى الهند كان ردًا على دعوة منه للزيارة ..

ولدى وصولهما إلى بومباى عام ١٨٧٩ قام الكولونيل بالانحناء ، وتقبيل الأرض وكانت تلك الحركة لها انطباع عظيم .. وقامت جمعية إربا ساماج بالترحيب بضيفها على الرغم من أن الدوافع لم تكن خالصة .. فقد سعد أعضاء الجمعية بوجود منظمة أمريكية هى الجمعية الثيوصوفية تقف إلى جانب الآمال الهندية فى حكومة ذاتية .. وفى الحقيقية فإن مدام بلافاتسكى حملت حماسها للطموحات الهندية إلى مدى كبير حتى إنه بعد وقت قصير من وصولها إلى هناك أصبح البوليس يتابعها ..

وأدركت مدام بلافاتسكى أنها لا يمكنها أن تتجاهل تماما المجتمع الأوروبى إذا كانت تريد أن تحقق نجاحا فى توسيع نطاقات الجمعية .. وقد كتب أ. ب سينيت رئيس تحرير إحدى الصحف الناطقة باللغة الإنجليزية لدى وصولها .. وبوصفها واحدة من العرافات فقد كان مستعدا لإعلان تأييده لها وكان عليها أن تفعل كل ما باستطاعتها لكى تنال ثقته .. برغم ذلك وحتى يمكنها أن تقابله قامت ومعها الكولونيل بالسفر إلى العديد من المناطق فى الهند لسؤال الناس والدراويش ومعلمى الديانة الهندوسية سعياً وراء المعرفة .

وبعد أشهر قليلة من وصولهما إلى الهند أصدرت مدام بلافاتسكى والكولونيل أولكوت نسخة من المجلة الثيوصوفية .. وبعيدا عن المقالات الرائعة حول السحر والتنجيم وقراءة الطالع فى الغرب والموضوعات الأخرى المتخصصة فيها حظيت فلسفات

الشرق والكتابات الهندوسية المقدسة وما أشبه بنقاش دقيق ومتفحص.. ونجحت المجلة بصورة كبيرة وأفادت كثيرا فى شهرة مدام بلافاتسكى فى الهند.

وبعدها دعيت مدام بلافاتسكى والكولونيل إلى ولاية الله آباد للإقامة لدى أ. ب سينيت وزوجته. وقد أثارت تصرفات مدام بلافاتسكى الحادة ومظهرها الغريب ارتباك أ. ب سينيت ولكنه اكتشف أن كل أصدقائه يعتبرونها شخصية شاذة بصورة غير عادية.. فقد دعيت إلى العديد من المنازل لكى تقوم بعرض معجزاتها وقدراتها العجيبة التى كان الكولونيل أولكوت يبذل جهدا كبيرا فى الإعلان عنها.. وإن كانت هى فى ذلك ترفض أداء مثل هذه العروض دائما بقولها إن معلميها يرفضون القيام بهذه العروض للمظاهرة بصورة مستمرة.. وأن المعرفة والعلم يجب عدم استخدامهما بهذا الأسلوب..

ولم يكن هناك أى شك فى قدرة مدام بلافاتسكى لدى سينيت والآخرين من المجموعات المتزايدة من الذين انضموا إلى جمعية الثيوصوفية برغم نوبات الغضب التى تنتابها عندما يطلب منها إظهار معجزاتها، وقد اختاروا مدام بلافاتسكى لتكون ممثلتهم عند الزعماء الروحيين برغم الإحباط الذى يصيبهم من أنهم أنفسهم يلتقط أى رسالة من هؤلاء الزعماء.

وجاء وصول الأصدقاء القدامى من أسرة كولومبس إلى الهند ليسعد مدام بلافاتسكى.. كذلك يجب الاعتراف بأن بلافاتسكى لم تكن تحب الاحتفاظ بخدم، لذلك فإنها قد كانت تشكر لصديقها القيام بهذا العمل.. وكان معها فى المنزل أيضا شاب مصاب بالدرن مثير للشفقة قطع كل علاقة له بأسرته من أجل البقاء لدى بلافاتسكى..

وسافرت مدام بلافاتسكى إلى سيلان مع الكولونيل أولكوت بدعوة من كبار الكهنة البوذيين .. وقد شعرا أنهما مرتبطان نفسيا بالديانة البوذية حتى إنهما سرعان ما دخلا فيها .. وبرغم إقامة العديد من فروع الجمعية الثيوصوفية فى سيلان فإن النجاح الذى حققته بلافاتسكى وأولكوت بين الوذيين لم يخدم روابطهما مع جمعية أريا ساماج الهندوسية . فلدى عودتهما إلى الهند طلب رئيس جمعية أريا ساماج ضرورة إنهاء الرابطة مع الجمعية الثيوصوفية .. وتم الاتفاق على ذلك ولكن بعد فترة ذهبت جمعية إريا ساماج إلى ما هو أبعد من ذلك فقامت بتشويه سمعة الثيوصوفيين وقالت إنه ليست لهم عقيدة معينة وإنهم لا يملكون أموالا خاصة بهم .. ولم يؤثر هذا كثيرا على مدام بلافاتسكى فقد كانت منشغلة فى بناء مذهب جديد ..

وعندما دعاها سينيت للإقامة لديه أعلنت مدام بلافاتسكى أنها أصبحت فى النهاية تحصل على توجيه من زعيم دينى جديد وهو المهاتما كوت هومى .. ولم تعد مبتدئة غير صالحة لإظهار دليل على وجود المعرفة .. وعلى العكس فقد كانت سعيدة بالاتصال برغباتهم ومنحهم وآرائهم لهؤلاء الذين يستحقونها ..

وفى أى اجتماع لها .. كانت أصوات الموسيقى تملأ المكان .. وتتحرك الأشياء من مواقعها بدون قوة مرئية .. ووقعت معجزتان كلتاهما فى ضوء النهار .. فبينما مدام سينيت فى نزهة بالخارج بعد حديث بينها وبين مدام بلافاتسكى انتهى إلى أنها أى مدام سينيت فى حاجة إلى دليل مادى وشخصى من واحد من المهاتما لكى يتأكد ويقوى إيمانها .. وكتبت مدام بلافاتسكى ورقة صغيرة ثم أغلقتها وألقت بها .. وأشارت إلى إحدى الأشجار البعيدة .. وعندما ذهبت مدام سينيت إلى حيث الشجرة شحب لونها وهى تقرأ : «أعتقد أنه طلب منى أن أترك رسالة هنا . ماذا تريدين

منى ؟ .. والتوقيع أحد شخصيات جبال التبت .. وأدركت مدام سينيت أن هذا لا يمكن أن يحدث إلا عن طريق قوى خارقة .. وبالفعل ظلت ترى هذا الذى حدث مما زاد من شهرة مدام بلافاتسكى .

أما الحدث الثانى فقد وقع فى وجود أغراب وكان له تأثير أكثر قوة .. فقد رتبت مدام بلافاتسكى والكولونيل أولكوت وسينيت وزوجته لنزهة مع سيدة أخرى وزوجها لا علاقة لهما بالثيوصوفية وملأت المجموعة سلالها وبينما هم فى الطريق انضم إليهم صديق إنجليزى يعمل قاضيا وطلب منهم أن يذهب معهم .. ولدى وصولهم إلى المكان الذى سيقضون فيه يومهم اكتشفوا أن عدد الفناجين والأطباق ٦ بينما عدد المنضمين للرحلة ٧ .. وهنا اقترح الموجودون على مدام بلافاتسكى أن تقدم لهم شيئا مادياً .. وعلى الفور نظرت مدام بلافاتسكى إلى رفيقهم فى الرحلة الميجور هندرسن .. وطلبت منه الذهاب إلى مكان معين وأن يحفر قليلا فى الأرض بسكين .. وما هى إلا لحظات حتى وجد هندرسن تحت الأرض فنجانا وطبقا ..

وهنا ظاهرة أخرى تستحق الذكر .. فبينما كانت مدعوة إلى حفل عشاء فى منزل صديق يدعى مستر هيرمن .. قالت مدام بلافاتسكى لزوجته إنها تستطيع أن تعثر لها على شىء تريده يكون قد ضاع منها .. فسألت مسز هيومى عن بروش من اللؤلؤ .. وهنا حددت مادام بلافاتسكى مكانا معينا وهو إناء للزهور فى إحدى حجرات البيت وطلبت من أحد الموجودين أن يبحث فيه .. ولدهشة الجميع عثر الشخص على هذا البروش ملفوفاً فى ورقة في نفس المكان ..

بعدها ارتبطت مدام بلافاتسكى أكثر بسينيوت وبدأت علاقاتها بالمهاتما كوت هومى تتزايد وتتزايد معها المعجزات .. وكذلك

بالصديق الجديد مستر هيرمى .. وكانت ردود مدام بلافاتسكى باعتبارها وسيطة بينهما وبين كوت هومى تظهر بأكثر من طريقة سواء بأوراق تظهر مكتوبة فجأة فى الهواء .. أو تكتب على أيدى من يحضرون جلساتها .

وفى العام التالى .. تزايد اهتمام مدام بلافاتسكى بمجلتها وبكتاباتها .. كما سافرت إلى أكثر من منطقة فى الهند .. تستعرض قدراتها وتتعلم من الاتصال بالآخرين .. ثم مرضت مرضاً آخر شديداً وأصيبت بقرحة ، وعلى الرغم من ضعف صحتها فإنها قامت برحلة طويلة إلى منطقة دار جيلينج ثم عبرتها إلى منطقة سيكيم حيث قالت إنها التقت مع مجموعة أخرى من الزعماء الدينيين حيث شفيت سريعاً .

وربما كان من أهم الأحداث التى جرت بعد هذا عندما ظهرت روح المهاتما كوت هومى فى جسد مادى لهؤلاء من أعضاء الجمعية الثيوصوفية الذين كانوا قد يئسوا من مجرد رؤية زعمائهم الروحيين .. وكان ظهوره على هيئة شخص أبيض اللون يرتدى عمامة هندية .. وكان يبقى لدقائق ثم يختفى .. وكان شهود العيان لهذه الوقائع كثيرين وتزايدت شهرة الجمعية الثيوصوفية ..

وفى مقر الجمعية فى أديار أنشأت مدام بوفاتسكى معبداً امتلأ بصور الزعماء الروحيين .. وأصبح المعبد شهيراً لأنه كان المكان الذى تتلقى فيه الرسائل منهم حتى فى غيابها .. ويذكر أنه فى إحدى المرات عندما كانت مدام بلافاتسكى فى الخارج لزيارة بعض الأصدقاء دعى الجنرال مورجان إلى منزلها فى أديار لرؤية المعبد .. وعندما فتح المعبد فوجىء الجنرال بطبق يسقط على الأرض ، ويتحطم .. فأسرعت مدام كولومبو صديقة بلافاتسكى والتقطت بقايا الطبق وقامت بلفها فى قطعة قماش ووضعتها فى

مكان ما وأغلقت أبواب المعبد ، وعادت مدام كولومبو لفتح لفة بقايا الطبق لتجد رسالة من كوت هومى .. وترى الطبق سليما ..

وسافرت مدام بلافاتسكى إلى إنجلترا لإجراء مقابلة مع لجنة جمعية الأبحاث الروحية .. وكان بصحبتها الكولونيل أولكوت .. بينما بقى الزوجان كولومبو فى المنزل لرعايته .. وفى لقائها أعطت مدام بلافاتسكى تصريحا كاملا لعضو من اللجنة لزيارة الفروع الهندية للجمعية الثيوصوفية وإجراء أى تحقيقات يراها ضرورية .

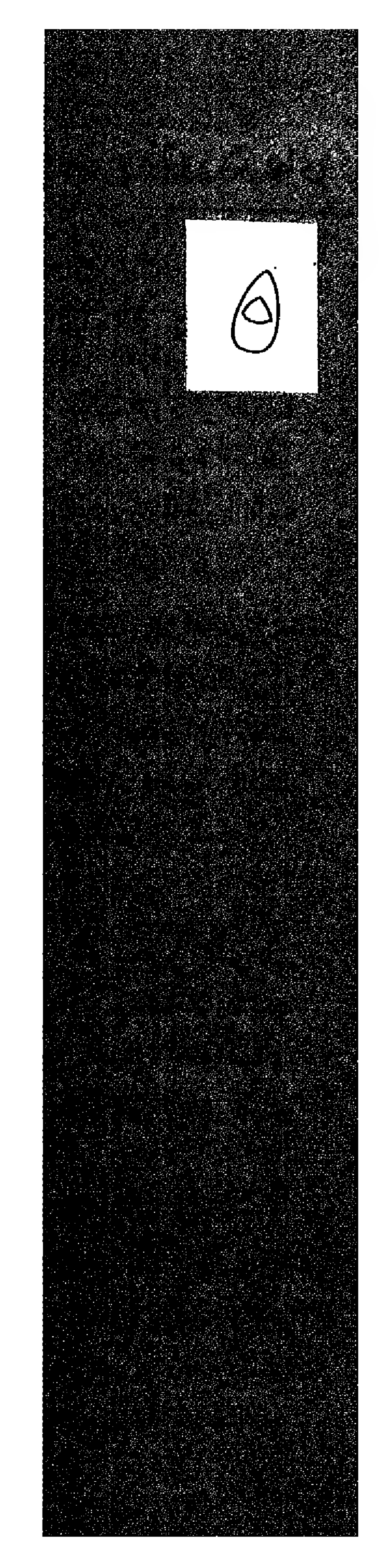
وفى خلال هذه الفترة شعرت صديقتها مدام كولومبو بأنها على وشك الطرد فى غياب مدام بلافاتسكى من جانب الأعضاء الآخرين من الجمعية .. وعانت كثيرا ولم تكن تجد ما تقيم به أودها وتعرضت للابتزاز من جانب أعضاء الجمعية وبحثت عن مبلغ من المال لإسكاتهم بعد أن هددوا بتشويه سمعة مدام بلافاتسكى ولكنها لم تجد هذا المبلغ ..

وسرعان ما بدأت مجلة الكلية المسبحية فى مدينة مدراس نشر ما أطلقت عليه «رسائل كولومبو» .. قالوا فيه إن كل ما أقتنع الصحفى سينيت والآخرين من قدرات مدام بلافاتسكى كان عبارة عن غش وخداع .. وأسرعت مدام بلافاتسكى والكولونيل أولكوت بالعودة ولو كانت قد رفعت دعوى ضد مجلة الكلية المسيحية فى مدراس وصديقتها مدام كولومبو لكان بإمكانها كسبها .. ولكن أولكوت وجد أنه من غير الحكمة أن يجعل امرأة مثل مدام بلافاتسكى تجلس فى مقعد الشهود .. ولم تكن هذه هى الكارثة الأولى .. فقد قدم عضو جمعية الأبحاث الروحية تقريراً اتهم فيه مدام بلافاتسكى بأنها جاءت إلى الهند جاسوسة سوفيتية .. وقال

إن كل ما زعمته مدام بلافاتسكى كان عبارة عن مجموعة من الخدع والحيل ..

وكانت هذه هى الضربة المميتة لمدام بلافاتسكى التى انهارت بعدها قواها الصحية وعادت إلى إنجلترا وهى شاعرة بكل القهر والظلم .. وسرعان ما بدأت تمدُّ سينيت الصحفى بكل المعلومات عن حياتها .. وكيف بدأت تصنع أصدقاء جداً على رأسهم مسز آنى بيزات التى تبنت كل أفكار وتعاليم مدام بلافاتسكى .. ولم تنفصل المرأتان ولكن حياة مدام بلافاتسكى كانت تقترب من نهايتها .. حيث توفيت يوم ٨ من مايو عام ١٨٩١ ..

وسواء كانت هيلينا بتروفنا بلافاتسكى هى هذه الغشاشة التى زعموها .. أو كانت حقا هى المرأة التى تسيطر على قواها الروحية وتسيطر على الأرواح .. فإن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أنها كانت امرأة ذات قوى وقدرات خاصة مرتبطة بحماس لا حدود له ومعلومات هائلة حول السحر والتنجيم وإيمان حقيقى فى القدرة على فهم الحياة بعد الحياة مما جعل العديدين من الأذكياء يدخلون إلى عالمها ويؤمنون بفلسفتها ..



قارب الأشباح يظهر فى ليالى الصيف فى بحيرة أوتلون .
ظهرت الفتاة بعد ٣ سنوات من قتلها .
وقالت لأبيها : أنقذنى يأبى .. فسقط صريعا .

قارب الأشباح فى بحيرة أوتلون

جيمس ونتورث داى

كنا نصطاد تحت ضوء البدر قرب منتصف الليل فى بحيرة أوتلون الواسعة القريبة من منطقة لوستون .. كانت أشعة القمر الفضية تنساب فوق سطح الماء .. بينما العصافير تطلق أغانيها قادمة من فدادين ضخمة من أشجار الغاب المحيطة بالبحيرة .. بينما صوت البط البرى يملأ المكان .. وعلى الشاطىء يبدو ضوء أصفر من منزل يقع عبر المياه السوداء لهذا الميناء الذى يطلقون عليه ميناء بورو ..

فهناك ، فى القرن الماضى ، وفى مثل تلك الليلة كان جورج بورو الذى كتب أعظم عملين عن حياة الغجر فى اللغة الإنجليزية وهما لافنجرو .. وسيد الغجر الرومانى يشعل النيران تحت الشجر تحيط به الوجوه السوداء لأصدقائه الغجر بينما كانت عيونهم تتراقص فى ضوء النيران وهم يحتسون الخمر .. ويجأرون بأغانيهم الرومانية أمام النجوم ..

اعتقد الجيران أن جورج مجنون ولكن أحدا لم يجرؤ على أن يقول ذلك لأن جورج كان رجلا قويا وعصبيا .. ومقاتلا شديد المراس .. أليس هو الذى سار مئات الأميال عبر جبال أسبانيا .. حيث الوحدة والوحشة ببساطة ليتيح لنفسه الحياة فى الجو الذى جعله يكتب الإنجيل فى أسبانيا ..

وذات صباح خرج من المنزل وقال لزوجته المحبة التى كانت تفهمه ـ لحسن الحظ ـ: «إننى خارج لأتمشى ياعزيزتى ولا أدرى متى سأعود» .. وظل فى الخارج لمدة ٣ اشهر دون أن يغير ملابسه .. وقال البعض إنه ظل سائرا على قدميه من إنجلترا حتى وصل إلى سكوتلندا ثم عاد مرة أخرى إلى منزله ..

وقال أحد أصدقائه عن هذا الرجل الذى وصف بأنه سيد اللغة الإنجليزية «إنه كان معروفا بقصص الأشباح ويعتقد فى القوى الخارقة» ..

رنّت هذه الكلمات فى أذنى عندما استدرت إلى فريد «المراكبى» وقلت له: «فريد .. إننا نصطاد فى نفس المكان الخاص بمستر بورو، وعلى مرمى البصر من منزله الصيفى القديم حيث كان يحكى قصص الأشباح .. الم تره مطلقا؟» فقال فريد: «إن هذا المكان ملىء بالأشباح .. وبقصص الأشباح .. هناك الكلب الأسود .. وهو كلب فى حجم العجل له عين واحدة فى رأسه، تبرق مثل المصباح .. وهناك شبح، كما يقولون، لكاهن وسط أطلال قلعة برغ .. ولكن الشبح الذى يتحدثون عنه كثيرا هو شبح سفينة تجرى عبر هذه البحيرة بعد منتصف الليل فى يونيو . وإذا ما رأيتها فإنك سوف تسقط ميتاً» .

كنت قد سمعت هذه القصة بشىء من الغموض .. ولكنها تنتشر هنا وهناك .. وعلى الرغم من أن الكثيرين يضحكون عليها فإن الوقائع، كما هى، يبدو أنها تشير إلى حقيقة .

فهذا القارب الأبيض الكبير المصنوع من خشب الساج والسنديان والمبنى بنفس طراز المراكب المصرية القديمة برسم عينى أوزيريس على جانبيه .. باستخدام شراع أبيض .. وعلى متن هذا القارب الشبح يوجد ستيفنسون الدموى الرجل العملاق

الذى يتصارع مع فتاة يملؤها الرعب ، ترتدى رداء أبيض والدم ينزف من عنقها .

وفجأة تسحب الفتاة وهى تصرخ من الرعب يدها اليمنى وتهوى بها فوق العملاق الذى ينزف الدم من عنقه ويسقط فوق ظهر القارب .. وبعد لحظة تسقط الفتاة ميتة فوق جثمان هذا العملاق .. ويواصل القارب السير فوق صفحة المياه ..

والآن وقد بدأ كل هذا فى خريف عام ١٨٥١ عندما قررت شركة بيكلز أن ترسل أكبر قواربها ويدعى «مايفلاى» فى رحلة .. ستصبح أكثر الرحلات رعبا فى تاريخ إنجلترا .. وكان هذا القارب - كما سبق القول - على طراز القوارب التجارية الشراعية فى مصر القديمة .. تبلغ سرعته من ٧ إلى ٨ كيلو مترات فى الساعة ، وهى نفس سرعة السيارة الأجرة وهى تسير فى حديقة الهايد بارك ..

ونعود إلى قصتنا .. إلى خريف عام ١٨٥١ كان القارب أو السفينة الشراعية التى سنطلق عليها «مايفلاى» رابضة على الشاطىء عندما أرسل أصحابها لاستدعاء القبطان .. العملاق عريض المنكبين الملقب باسم ستيفنسون الدموى .. كان ستيفنسون هذا رجلا قويا ، ملاكما لا يشق له غبار .. ولكنه كان صاحب مزاج عصبى ونظرة قاتلة فى عينيه عندما يثيره أحد .

وقيل إنه عندما كان فى الأسطول التجارى حيث خدم لمدة ١٥ سنة قاتل خمسة رجال على ظهر إحدى السفن فى نفس الوقت فقتل منهم اثنين وأصاب الثلاثة الأخرين .. ولذلك فقد تعرض للسجن لمدة ثلاث سنوات .. وعندما خرج من السجن خدم فى إحدى الشركات الخاصة وتورط فى معركة أخرى على ساحل فلوريدا .. وعندما بدأ البوليس يلاحقه قفز من سفينة إلى سفينة أخرى وتوجه من فوره إلى إنجلترا ..

وفى ذلك الوقت كانت له سمعته السيئة فى الخدمة على القوارب التجارية حتى إنه قرر البحث عن عمل على ظهر إحدى القوارب التجارية فى نهرى نورفولك وسيفولك .. وهكذا أصبح مستخدما لدى شركة بيكلز ..

وكان لمستر دورمى أحد مديرى الشركة ابنة جميلة فى بداية العشرينات من عمرها .. كانت هى أجمل فتيات البلدة ، وكانت تخظى بإعجاب كل من رآها .. وكان « الدموى » أحد هؤلاء المعجبين .. وكذلك كان جاك زميله على السفينة « مايفلاى » .. وبينما كان ستيفنسون الدموى ينظر إلى الفتاة الريئة الجميلة بشهوة حيوانية كان جاك وهو أيضاً رجل قوى البنية يعبدها فى خجل .. وهكذا كان للفتاة - وتدعى ميليسنت - عاشقان متناقضان تماماً ..

الشخص الثالث الذى كان يعمل على ظهر السفينة « مايفلاى » هو شاب قوى فى السابعة عشرة من عمره يدعى بيرت انتويستل الذى كان يكلف بكل المهام الوضيعة فوق ظهر السفينة مثل التنظيف والترتيب .. وما إلى ذلك .. ولم يكن يشكو مطلقاً ..

وعندما ذهب الدموى إلى الساحل فى شهر سبتمبر وتوجه إلى مكتب مالكى السفينة تحدث مستر دورمى فى الموضوع مباشرة : «كابتن ستيفنسون لقد قررنا أن نعهد إليك بمهمة شديدة الأهمية .. إن المطلوب إرسال حقيبة جلدية ضخمة تحوى عملات ذهبية من هنا إلى البنك الذى نتعامل معه فى يارماوث .. إن لدينا أسباباً مقنعة بأن مثل هذه الحقيبة إذا تم إرسالها بعربة تجرها الخيول عبر الطرق المظلمة فسوف يتم اعتراضها وسرقتها .. ولذلك فإننا سوف نرسل عربة تجرها الخيول وبها صندوق كبير لن يحوى ذهبا .. ولكن رجلين مسلحين .. وبهذا فإن من سيوقف

هذه العربة سوف يحصل على الرد طلقات رصاص بدلا من صندوق الذهب .

لذلك فقد قررنا أنه سيكون أكثر أمنا أن نرسل هذه الشحنة ذات القيمة بحراً .. إنك رجل قوى .. وكذلك جاك .. وسوف نمدكم بشخص ثالث كحارس إضافي .. وسوف تكون السفينة مزودة ببنادق وذخائر .. ونحن لا نشعر أن أحدا يمكنه أن يفكر فى اعتراض السفينة .. كذلك فإن ابنتى ميليسنت سوف تسافر راكبة على ظهر السفينة تحمل صندوقا كبيرا يحتوى على الذهب .. ونريدك أن تقوم بهذه المهمة شديدة الحساسية » فرد الدموى : سأكون خادمكم المطيع .. ولكن هل لى أن أسأل عن قيمة الشحنة ؟ .. قال مستر دورمى ببرود .. ٤٠٠ ألف جنيه استرلينى .. ابتلع الدموى ريقه .. ولمعت عيناه وقال بصوت خفيض : «يالها من شحنة ذات قيمة كبيرة سيحملها البحر ياسادة » .. ثم استطرد قائلا : « على الرغم من أننى قبطان للسفن التجارية تم تكليفى بشحنات أكثر قيمة ! » .. وكان الرد : « هذا ما توقعناه تماما كابتن ستيفنسون وهذا هو سبب قرارنا بالوثوق فيك وتكليفك بنقل الشحنة .. ستبدأ في العاشرة والنصف مساء .. وبعد نصف ساعة من مغادرة السفينة ليارماوث ، ستقوم بإنزال ميليسنت هناك حيث ستكون عمتها فى انتظارها ، وسوف يتم نقل الصندوق إلى العربة التى ستكون فى الانتظار والتى ستتجه فورا إلى البنك .. هل كل شىء واضح ؟ قال الدموى : «كل شىء واضح ». ثم حيا مستر دورمى وانصرف ..

صعدت ميليسنت الشابة الجميلة ذات القوام الممشوق .. الممتلئة إثارة وفتنة .. وقد راقت لها فكرة الرحلة على ظهر « مايفلاى » .. وقد أعدت قمرة خاصة لها على السفينة .. وبعيدا عن إثارة

الرحلة ذاتها فقد كانت ميليسنت تشعر بنوع آخر من الإثارة لأنها ستصحب الدموى الذى كان من وجهة نظرها يمثل نوعا من البطل الإغريقى ، شيئا ما مثل آخيل .. أو هرقل ..

وأبحرت السفينة تحت أشعة القمر .. ١٥ ميلا فقط وستنزل ميليسنت لتناول طعام الإفطار مع عمتها فى منزلها بيارماوث .. واتجهت السفينة شمالاً إلى برغ سانت بيتر وسومرليتون .. وتحت أطلال قلعة برغ الدومانية .. كانت ستيفنسون على عجلة القيادة ، وبعد قليل استدار فجأة ناحية مساعد عجلة القيادة وسأله : هل أنت معى أم لا ؟ هل ستعمل لحسابى أم لا ؟ قال بيرت : « بالطبع أنا معك .. فماذا تعنى بالعمل لحسابك ؟ » .. أعنى ما فهمت .. هذه السفينة وكل شىء فوقها هو الآن ملكى .. إننى أمتلك كل شىء . ستذهب هذه السفينة إلى حيث أريدها أن تذهب .. هلى فهمت الآن ؟ قال الشاب .. « ولكنك لا يمكنك أن تقول إن هذه سفينتك .. إنها تخص الشركة ولا يمكنك الاستيلاء عليها .. إن هذه قرصنة وأنا لست قرصانا » .. قال الدموى العملاق وصبره يكاد ينفد : « إذن ستكون طعاما للسمك » .. وترك عجلة القيادة ، واتجه إلى الشاب وأمسكه من رقبته وضربه فوق رأسه .. ثم حمله فى الهواء وألقاه فى الماء .. واقتربت السفينة مايفلاى من أضواء يارماوث .. ولكن السفينة بدأت تغير اتجاهها ..

استيقظت ميليسنت فى قمرتها وصعدت لتعرف ما حدث .. وتساءلت : أين نحن ياكابتن ؟ ألم نصل إلى يارماوث ؟! إننى لا أرى شيئاً ! ..

ورد الدموى العملاق .. وضحكة شريرة تملأ وجهه .. « ولن ترى شيئا ياحبيبتى لقد تركنا يارماوث .. ونحن الآن فى البحر » .. سألته : « ولكن لماذا ؟ لقد كان المفروض أن نتوقف فى

يارماوث حيث ستكون عمتى فى انتظارى » .. وجاء الرد القاسى : « إنك لن ترى يارماوث أو عمتك مرة أخرى .. ياجميلة .. إننا فى الطريق إلى حيث قررت أنا أن نذهب .. إننى قبطان هذه السفينة .. تذهب إلى حيث أريدها أنا أن تذهب ، وكل ما فوقها بما فى ذلك النقود وأنت يا فتاتى هو ملكى .. ستكونين زوجتى عندما نصل إلى مناطق أجنبية .. إننا نملك من المال ما يكفى لنعيش كملوك إلى الأبد » .. « ولكنها نقود أبى .. وسفينة أبى » قالتها ميليسنت وقد شحب لونها رعبا .. فرد الدموى « إنك أيضا لن ترى أباك مرة أخرى .. اهبطى إلى قمرتك .. لكم كنت أشتهيك منذ وقت طويل .. وها أنت الآن بين يدى .. جاك .. تولَّ القيادة » ..

وبالفعل أخذ جاك عجلة القيادة .. وقد تجمد وجهه كالصخر .. وقفت ميليسنت فى تحدٍّ على ظهر السفينة .. فأمسكها الدموى بيد واحدة وألقاها فى القمرة وتبعها .. وبعد دقائق صدرت صرخة مرعبة من أسفل .. واندفعت ميليسينت إلى ظهر السفينة تنزف من جرح فى عنقها بينما ملابسها قد مزقت .. وخرج خلفها الدموى ستيفنسون الذى غطت وجهه الدماء ..

وهنا لم يتمالك جاك نفسه .. فانفجر فى الدموى .. وتقاتل العملاقان فكانا مثل اثنين من النمور .. أخذا يتمايلان للأمام وإلى الخلف على ظهر السفينة .. وبينما يسقط أحدهما يعاجل الآخر بضربة .. وبعد قليل جذب الدموى يده اليمنى شديدة القوة وهوى بها فوق عنق جاك .. فسقط جاك بلا حراك وهنا حمله ستيفنسون وألقى به إلى الماء ..

وأسرعت الفتاة إلى أسفل فهرع الدموى خلفها .. عندئذ جاء الشاب الصغير برت إلى ظهر السفينة ليرى الفتاة تصعد بسرعة ووراءها الدموى يحاول جذبها .. وهى تحاول الفرار .. وكانت

الدماء تنزف بغزارة من عنق الدموى ومن صدره .. ثم سقط على ظهر السفينة .. بعدها بلحظة هوت الفتاة وخنجر فى صدرها فوق العملاق الميت ..

وهكذا أصبح الشاب الصغير وحيدا مع جثة لرجل .. وجثة لفتاة .. وكومة من زجاجات الخمر وأرغفة الخبز .. وبندقية وذخيرة فى بحر الشمال .. وبعد أيام أنقذت سفينة دانماركية الشاب الصغير .. الذى أقسم أنه وخلال الليالى المظلمة التى قضاها وحيدا على ظهر السفينة تكرر أمامه منظر الفتاة الصغيرة وهى تناضل والدماء تنزف من صدرها ، والعملاق المصاب بطعنة فى عنقه ..

بعدها بثلاث سنوات .. قال فريد «المراكبى» وفى إحدى الأمسيات كان مستر دورمى يصطاد كما نحن الآن تماماً .. وفجأة عبرت السفينة البيضاء .. وفوقها شاهد مستر دورمى شبح ابنته والدماء تنزف منها بينما يجرى الدموى خلفها وهى تصرخ «أبى .. أنقذنى .. أنقذنى» .. ثم اختفت السفينة وسقط مستر دورمى ميتاً !!

٦

كانت عجوزا طيبة في حياتها ..
وعادت روحها فأضاعت مستقبل ابنها .. وقتلت طفلته .
صاحت الطفلة : أنقذوني جدتي تخنقني!! وكانت النهاية .

روح مسز ليكى الضائعة

روزمادى تيمبرل

«بابا .. ماما .. ساعدونى .. جدتى تخنقنى!» .. ترددت صرخات الطفلة فى المنزل، وانتهت بضوضاء الخنق .. واندفع الوالدان إلى حجرتها .. ليجداها ميتة فى سريرها وعلامات إصبعين على عنقها .. إنها مخنوقة .. كان هذا هو أكثر ظهور مرعب لشبح مسز ليكى ..

ففى حياتها، كانت سيدة عجوزا طيبة تعيش فى القرن الثانى عشر مع ابنها وزوجته وحفيدتها .. كانت لطيفة .. عطوفة محبوبة .. كان الجيران يعجبون بسلوكها الأقرب لسلوك القديسات .. وكانوا يحسدون ابنها على أن هذه السيدة هى أمه .. وقال لها أحد المعجبين بها ذات مرة: «إنك سيدة رائعة .. وستكون المأساة الوحيدة بعد أن تتركينا وحدنا عندما تموتين» .. ذلك أن العمر كان يتقدم بمسز ليكى .. وعلى غير المتوقع ردت عليه قائلة: ربما تحبوننى الآن .. ولكنى أخشى الا تستمتعوا برؤيتى والحديث إلىَّ بعد موتى .. «كيف إذن يمكننا أن نراك ونتكلم إليك حينئذ» .. «انتظروا وسترون» .. هكذا قالت مسز ليكى .. وانتظروا .. وهم الآن يرون ..

ماتت مسز ليكى .. وأقيم قداس كبير على روحها .. وكان المشيعون كُثْراً بكوا جميعا وهم يقولون : كم كانت الراحلة عزيزة علينا .. وكم سنفتقدها .. وصرخوا فى بكائهم وهم يقولون «كم سيكون أمرا سيئا أننا لن نراها مرة أخرى ..

ولكن كثيرين منهم كانوا على موعد مع رؤيتها مرة اخرى سريعا جدا فى أوقات وأماكن مختلفة .. وتحولت إلى شيطانة عجوز حقيقية .. كما لو كانت تعوض كل ما أظهرته فى حياتها من طيبة وعطف .. وكما لو كانت تنتظر الموت لكى تظهر وجهها الشرير ..

كان طبيب البلدة هو أول شخص يرى شبحها .. على الرغم من أنه لم يكن يعرف من تكون فى ذلك الوقت .. كان يوما مشمسا، وبينما هو يسير فى الحقول قابل سيدة عجوزا .. حيَّاها بأدب وساعدها فى العبور .. ولكنه أدرك أن شيئا غريبا بشأنها فعندما تتكلم لا تتحرك شفتاها .. وتبرق عيناها بتركيز حتى عندما تدير رأسها .. وجعله هذا يشعر بضيق وقلق حتى إنه كان سعيدا وهو يودعها ويسرع بعبور الحقل التالى .. وعندما عبر الحقل .. وبالشدة دهشته .. فوجىء بها تنتظره هناك قرب السياج الموجود فى الحقل ..

ليس هناك كائن بشرى يمكنه أن يعبر هذا الحقل قبلة دون أن يتحرك بسرعة كبيرة جدا .. وكاد الطبيب يستدير للخلف ولكنه قال لنفسه ألاّ يكون أحمق وأن يتجه إلى السياج .. وعندما اقترب لم تتحرك ، جلست بجوار السياج ومنعته من العبور .. قال لها «مدام» لو سمحت أريد المرور من هنا ..

قالت له : ولو افترضنا أننى لا أريدك أن تفعل ! رد قائلاً : إن هذا عبث ـ من فضلك ! .. ضحكت المرأة بصوت عال .. وتمسكت

بمكانها ، فقال لها : دعينى أساعدك على المرور إلى الجانب الآخر ، فقالت . إننى فى الجانب الآخر بالفعل .. وبضيق شديد من الجدل عبر الطبيب ودفعها ليمرَّ فى الطريق .. فسددت له ضربة قوية وأخذت تلاحقه بصرخاتها . « هذه الضربة ستعلمك كيف تبدى سلوكاً أفضل مع العجوز التالية التى ستلتقى بها .. » ..

بعد هذا الحادث بفترة قام الطبيب بوصف السيدة التى قابلها لأصدقائه الذين قالوا إن هذه الأوصاف تنطبق تماما على مسز ليكى .. التى كانت قد بدأت تعاود الظهور .. وكان ما وصفه الطبيب ينطبق تماما على سلوكها الغريب الجديد .. فبدأت تظهر فى أى مكان تثير القلق والاضطراب ..

وكان من حيلها المفضلة الظهور على شاطىء البلدة ثم تستدعى قارباً .. « ها .. أنت ياصاحب القارب.. أنت أيها الشيطان الكسول تعال هنا إننى أريد قارباً » .. وعندما يقترب صاحب قارب منها تلاحقه بلعناتها وسخريتها .. وعندما تكرر الأمر أكثر من مرة بدأ أصحاب القوارب يتجاهلونها .. بينما تقف هى تصرخ وتتمنى لهم الموت ..

وعندما كانت فى حياتها كانت شديدة العطف على ابنها .. قدمت الكثير من التضحيات من أجله .. كانت تنتظره وتقدم له الهدايا .. وتبدو وكأنها تعبد الأرض التى يسير عليها .. ولكن روحها العائدة بدأت تخطط للقضاء عليه .. كان تاجرا ثريا يقوم بمعظم أعماله مع أيرلندا .. وكانت له عدة سفن تبحر بين أيرلندا وإنجلترا تحمل البضائع من مكان إلى آخر .. وبدأ شبح مسز ليكى يمثل الخطة السيئة لإغراق سفنه ..

فبينما تقترب إحدى سفن مستر ليكى من الشاطىء .. يظهر شبح مسز ليكى واقفا على الشاطىء .. حيث تطلق صفارة .. وأيا

ماكان البحر هادئاً .. فإن صوت هذه الصفارة يستدعى الرياح العتيقة التى تهب ضد السفينة وتجعل البضائع تتناثر ، وتتحطم السفينة .. وأحيانا كان البحارة يسبحون حتى الشاطىء بينما يضيع كل شىء آخر .. سفينة تلو سفينة دمرت بهذه الطريقة .. وهكذا ضاع كل ثراء ابنها .. الذى أصابه اليأس .. فقد ضاعت كل سفنه ولم يعد قادراً على شراء سفن جديدة .. وحتى إذا استأجر سفينة لم يكن يستطيع الحصول على بحارة للعمل عليها بعد أن عُرفت قصص كل سفنه السابقة .. فقد جرب الكثيرون منهم ما حدث - وسمعوا صوت الصفارة التى تجلب العواصف السحرية العنيفة ..

وعندما لا تكون مشغولة بإغراق سفنه .. كانت مسز ليكى تسكن منزل ابنها حتى لا يشعر بالسلام فى أى مكان .. ولم تكن تجعل ابنها يراها مطلقا .. كانت تظهر للآخرين فى المنزل لتسبب لهم حالة من الهيستيريا ، وبذلك تثير ضيق ليكى .. ولكن لأنه لا يراها لا يستطيع عمل أى شىء لها .. فمشاهدة شبح شرير هو أمر سىء بما فيه الكفاية ، ولن ألَّا ترى هذا الشبح الذى يراه كل الذين يحبونك طول الوقت هذا هو الأسوأ .. كان الابن ليكى يشعر بوجود شبح أمه من خلال علامات الخوف على وجه زوجته وابنته .. ولكنه يكون ساكنا بلا حراك لا يستطيع عمل شىء ..

وعلى سبيل المثال ، كان شبح مسز ليكى يحضر إلى حجرة نوم الابن عندما يكون هو وزوجته نائمين معا .. هناك الابن المسكين يحاول الحصول على بعض النوم عندما توقظه زوجته فجأة صارخة : « انظر أمك هنا معنا فى الحجرة » ..

ويستدير الابن جهة اليمين حيث تشير زوجته .. فلا يجد شيئاً .. فتقول

شيئا .. فتقول له زوجته : إنها فى الجهة الأخرى الآن .. فينظر يسارا .. فلا يجد شيئا .. إن شبح الأم الشرير يقفز من مكان إلى آخر حتى لا يراها .. بالطبع هناك عنصر كوميدى فى تكرار هذه الأمور داخل حجرة النوم إلا لهؤلاء المتورطين .. كادت زوجة ليكى تجن بهذا العذاب المستمر .. وكاد ليكى نفسه يصاب بالإحباط .. كان يشعر بالعجز .. إنه لم يسبق له بالمرة أن عانى من أى مشاكل مع أمه المحبوبة .. ولكن شبحها وراءه تماما ..

وبدأ الجيران يضحكون أحيانا عندما يسمعون ما يجرى داخل المنزل .. وكان هذا أمراً مثيرا لضيق وغضب ليكى وزوجته خاصة وقد أصبحت تجارتهم مفلسة .. وتزايد الفقر عليهم يوما بعد يوم ..

بعدها كانت ذروة الصدمة بموت طفلتهم .. لقد تعلموا كيف يتحملون متاعب الشبح عليهما ولكنهما لم يتخيلا أن تؤذى الطفلة .. لذلك فإن مشهد الطفلة المخنوقة وعلامة الإصبعين فوق عنقها وصرختها الأخيرة : « جدتى تخنقنى » .. كان القشة الأخيرة بعدها ذهب كل شىء ..

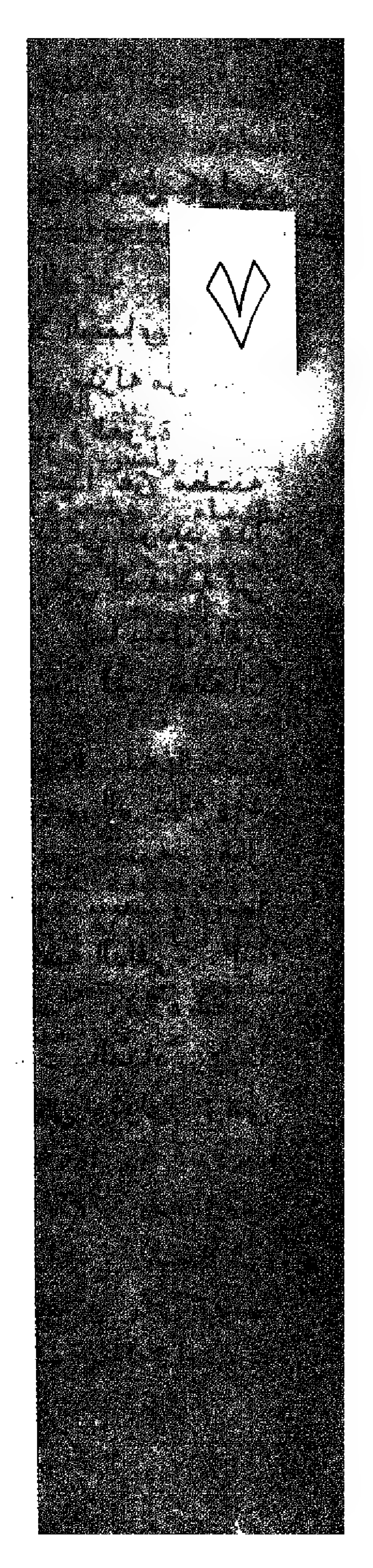
كانت جنازة الطفلة أمرا مأساوياً .. كان هناك البعض الذين يحسدون ليكى على ثروته السابقة ويستمتعون بمتابعة خسائره المستمرة .. والآخرون الذين كانوا يضحكون على ما يحدث فى حجرة نومه .. ولكن الجميع كانت مشاعرهم رعبا وخوفا بوفاة الطفلة .. لقد ذهب شبح مسز ليكى إلى نقطة بعيدة .. لقد أصبحت مكروهة الآن أكثر مما كان هؤلاء يحبونها فى حياتها .

وربما كان لقوة عاطفة الناس بعض التأثير على مسز ليكى .. وربما لم تكن تدرى بما تفعله فى حياتها الأخرى .. ولكن الرعب الذى تسبب فيه مقتل الطفلة قد بلغها أخيرا حتى جاءت بنفسها لتعتذر ..

كان هذا بعد جنازة الطفلة .. لقد دخلت الأم حجرة نومها وأخذت تسوى شعرها أمام المرآة ، وفجأة شاهدت وجه مسز ليكى العجوز فى المرآة وهى تربت على كتفيها .. استدارت الأم فى يأس وبؤس وقالت : « أمى .. لماذا تعذبيننا بالله عليك ؟! » .. رد الشبح بصوت خفيض « فى سلام .. لن أؤذيكم » .. قالت الأم : ماذا تريدين منا ؟ ..

ويبدو أن شبح مسز ليكى لم يكن يعرف ما يريد .. لقد أطاحت بمستقبل ابنها وزوجة ابنها .. وكسرت قلبيهما .. لماذا ؟ .. لم تكن تدرى .. كانت روحا ضائعة ..

وبالرغم من أن ظهور الشبح لم يعد يثير الضرر .. إلا أن الوقت كان قد مر بعد ما حدث .. لقد عاش ليكى وزوجته بقية حياتهما فى فقر وبلا أطفال .. ولكن حتى بعد موتهما لم ينس أحد شبح مسز ليكى .



انتقام أمٍّ لم تلد بعد!

بعد حديث طويل للرجل مع الفتاة..

قالت له: لقد قتلنى أحدهم منذ ساعات.. وأخذته من يده بيدها إلى قبرها!!

انتقام أم لم تلد بعد !

دوجلاس كولبير

كانت ليلة ممطرة شديدة البرودة مثيرة للرعب .. وكانت السحب الداكنة المحملة بالمزيد من الأمطار تملأ السماء .. بينما كان جيمس جريمى طحان بلدة دورهام عائداً إلى منزله من نفس الطريق الذى يقطعه مرتين يومياً .. فى الذهاب والعودة . وفى نهاية كل أسبوع كان يتساءل لماذا يسكن بعيدا عن مطحنه بمسافة ميل .. ثم يعود ويقول لنفسه : إنه لا داعى لترديد هذا السؤال فزوجته هى السبب فهى التى اعترضت على المعيشة فى منزل فوق المطحنة أو فى بيت صغير ملحق بها .. كما يفعل باقى الطحانين الذين يحسنون التفكير والذين ليست لهم تطلعات اجتماعية ..

ففى ليلة مثل هذه الليلة المطيرة سيصل جريمى إلى بيته وقد جمدت عظامه .. واخترق البرد الشديد كل جزء من جسمه ، وقال الرجل لنفسه : « إنه لسوف يسعد زوجتى أن أموت بسبب رفضها السكنى فوق معمل الطحين ».. وتذكر بيته وفراشه الدافىء .. إنه سيكون هناك خلال نصف ساعة لو كان محظوظا .. وملأه شعور بالشفقة على نفسه وهو يرى ملابسه قد امتلأت بالمياه .. وبدأ يتخيل نفسه على فراش الموت .. وزوجته تبكى وتولول وهى

تقول : « إنها غلطتى .. لو لم أكن أنانية وأطلب منزلا بعيدا عن المطحن !.. جيمس سامحنى ! واغفر لى !.. » وأخذ يتخيل صورة وجه زوجته الباكية .. بينما كشف ضوء البرق عن وجه آخر لامرأة .. لكنها ليست زوجته .. وبدا يدقق فى الوجه الماثل أمامه فى الظلام .. ثم قال : آنى .. طللتى .. إنك آنى جرينوود .. أليس كذلك ؟ ..

وشعر بيد الفتاة فوق خده .. إن يدها - وياالصدمته - مبتلة بالدماء وليس بماء المطر كيده .. إن رداء الفتاة ممزق ومليء بالدماء .. وشعرها مبتل بالمطر .. والدم والطين .. : « نعم ياجيمس جريمى .. إنه أنا .. أنا آنى جرينوود » .. « ولكن ماذا حدث لك بحق الله ؟ » .. « هذا هو ما سعيت إليك لأقول ياجيمس جريمى » .. « ولكن لماذا لا تسرعين الخطو .. وتتحملين كل هذه الجروح وتبحثين عنى فقط .. إن هناك العديد من الأكواخ كان يمكنك الذهاب إليها طلبا للعلاج » .. « إننى أحتاج إليك ياجيمس جريمى » ..

وقعت هذه الكلمات على نفس الطحان فأثرت فى كل مشاعره .. وقال لها : « لا تنطقى كلمة أخرى .. حتى آخذك إلى البيت حيث سأقوم وزوجتى الطيبة بتضميد جراحك .. وعندها يمكنك أن تقولى لنا عما حدث لك .. وليس قبل الآن » ..

« لا .. لا ياجيمس جريمى » .. وظلت الفتاة مكانها وكأنها مزروعة فى الأرض .. وحاول جريمى أن يجذبها من ذراعها خلال المطر .. ولكنها لم تتحرك إن قوة غير عادية تمسك بها فى هذا المكان .. فقال جريمى ، « بحق الله هيا بسرعة يافتاتى إنك ستموتين لو لم تسرعى بالذهاب معى .. إننى لم أر أحدا يستحق المساعدة أكثر منك فى هذه اللحظة » .. ردت قائلة : « انظر ..

ياجيمس جريمى .. انظر فقط وسوف ترى سبب عدم قدرتى على المجىء ..» وبدا الأمر وكأن أمرا قد صدر للبرق فى هذه اللحظة لكى يضىء الغابة كلها لمدة ٥ ثوان أو أكثر ..

ويالهول مارأى ! .. فبينما نظر إليها وجدها تسند رأسها على جدار .. وكأنها تنظر إلى السماء .. وقد قطع عنقها تماما حتى إنها لو لم تستند به على شىء لسقط رأسها على الأرض ، وصرخ جريمى صرخة رددت السماء صداها وكأن الذئاب تجرى خلفه ..

وعاد الظلام مرة أخرى .. وكان صوتها هادئاً «أترى الآن لماذا لا أستطيع أن أحضر معك .. ولماذا لا يمكنك أنت أو زوجتك الطبيبة أن توقفا موتى» ..

تلعثم الرجل ولم يقل شيئا .. حاول أن يصرخ مرة أخرى ولكنه لم يستطع . وقالت : «إننى لا أستطيع الحضور .. ولن أحضر إليكم .. ليس هناك إنسان يمكنه أن يمنع موتى لأننى ميتة بالفعل .. ميتة ياجيمس جريمى .. وكما ترى لقد قتلت» ..

«مقتولة ؟ .. ولكن كيف تقفين هنا الآن .. إذا كنت ميتة ؟ .. وأدار جريمى رأسه وهو يقول : ربما كان ما نحن فيه حلما مزعجا سأستيقظ منه غداً وأجرى إلى بيتك لأجدك بخير .. وجميلة كما كنت دائما .. سأفعل ذلك ياعزيزتى آنى .. سأفعل» ..

قالت : «لن تفعل .. والآن استمع إلَّى فوقتى قصير .. إننى لست هنا .. لست بكيانى المادى .. لأننى مت منذ عدة ساعات وجثتى موجودة فى المكان الذى سأطلعك عليه الآن .. وعليك أن تستمع بكل هدوء واهتمام» ..

ضاع الشعور بالبرد والمطر الآن .. وبدأ جيمس جريمى يستمع فى رعب : «إن هؤلاء الذين قتلونى يجب أن يقدموا

للمحكمة وهم جون شارب وجيمس واكر .. وقبل أن يمر الوقت وأختفى مثل نجم عندما تشرق الشمس .. سأقول لك لماذا ؟ وكيف ؟ وأين ؟ وعليك أنا تتذكر كل شيء » ..

وهز جريمى رأسه علامة الإيجاب .. وبدأت هى تقص الحكاية .

« كنت حاملا فى طفل من جيمس واكر الذى اغتصبنى منذ ثلاثة شهور وبالتحديد يوم ٢ ديسمبر عام ١٦٨٠ .. حتى إننى كنت أوافق على كل ما يقوله لى .. لن أقول لك كيف أو لماذا نجح فيما فعله .. ولكنه وضع البذرة .. وأصبحت أنا الملامة .. ولكن عندما قلت له إننى حامل فى طفله .. أنكر كل شيء بيننا ، واتهمنى بأننى فتاة كاذبة شريرة .. وحذرنى من التفوه بكلمة واحدة لأى إنسان .. وقال إننى لو أقسمت على الكتاب المقدس فإنه سوف ينكر كل شيء ويقتلنى .. إنه سوف يقتلنى على أية حال - كما قال .. قبل أن أتفوه بكلمة .. وبالطبع لم يكن ممكنا أن أعد بألا أخبر أحداً .. ذلك أن الطفل .. طفلى أيضاً .. يحتاج إلى أب .. ولأنه كان جباناً .. وربما لأنه لا يزال يحمل بعض المشاعر تجاهى دفع لشخص آخر لكى يقتلنى هو جون شارب ..

قال جريمى : « جون شارب هذا المخادع الفاسق .. » .. واستطردت هى تقول : « لقد قتلنى اليوم بعد الظهر بقليل .. وقبل أن تهب هذه العاصفة .. كان الجو باردا .. وخرجت إلى الغابة أجمع بعض الحطب عندما ظهر لى من وراء الأشجار وشهر سكينا كبيرا فى وجهى وجذبنى بيده اليسرى من كتفى وطلب منى ألا أتفوه بكلمة .. ثم قطع عنقى بالسكين .. وعندما انطلقت الدماء بدأ يصبغ يديه وإناء فى يده بلون أحمر مثل لون الدم .. كان جيمس جريمى يستمع فى خوف .. واستطردت هى : « والآن جيمس

جريمى .. اسمع بحرص .. حملنى إلى مكان سأريك إياه .. وهنا قام بدفنى حيث أرقد الآن .. هيا تعال » .. وأخيراً تمكنت من الحركة .. وأخذت جريمى من يده التى كانت ترتعش فى يدها المبتلة بالدم .. وعندما وصلا إلى المكان المقصود وبجوار شجرة للسنديان ضخمة قالت له : والآن عد الخطوات » .. كانت تتحدث بصوت أقرب إلى صوت الشبح .. وصوت واهن جدا لآنى جرينوود .. « ٦ .. ٧ .. ٨ .. ٩ .. ١٠ .. ١١ .. هنا القبر » ...

فى البداية لم ير جريمى شيئاً .. ثم أبرقت السماء قليلا فرأى قبرا نظيفا مرتبا .. ثم أمرته بعدِّ الخطوات مرة أخرى .. ثم اختفت .. وصرخ جريمى : « أين أنت ياآنى ؟ » .. ووصله صوت واهن حزين من الظلام : «لقد ذهبت .. ربما للأبد .. إلى الحياة الأخرى الأبدية .. ولكن ياجيمس جريمى إذا لم يشنق قاتلاى على جريمتهما .. سأظل شبحا إلى الأبد ..» ..

وساد الصمت لبرهة .. ثم استمر الصوت يقول : «ولكن ياجيمس إذا لم يعاقب الذين قتلونى .. فإننى سأكون شبحاً يسكنك حتى تموت .. سأظل الاحقك بنفس شكلى الذى رأيته اليوم .. حتى نهاية العمر .. ولكن إذا شنق قاتلاى فإن الرب سوف يباركك ياجيمس جريمى ..

ثم اختفى الصوت .. وأخذ جيمس يعدو فى مسافة النصف ميل الباقية على منزله .. حيث قابلته زوجته الغبية على الباب .. قائلة : « بحق السماء يارجل هل كنت فى نزهة فى الطين .. ألم يكن ممكناً أن تلجأ إلى أى مكان حتى تهدأ العاصفة » ..

لم يعلق جيمس على ما قالت زوجته ، وقال لها : اذهبى إلى مدفأتك .. إننى لا أحتاج شيئا منك على الإطلاق ، وفى لحظات

سأكون قد غيرت ملابسى المبتلة وذهبت إلى فراشى .. طاب مساؤك .. إن لدى عملا كثيرا صباح الغد » ..

وتوجه إلى المطبخ حيث صب بعض الماء الساخن على شيء من النبيذ شربه جرعة واحدة .. وغير ملابسه وذهب إلى الفراش .. ولكنه لم ينم- بالطبع- وبعدها بساعة عندما تحركت زوجته البدينة إلى جواره تصنع النوم ..

وفى ساعة مبكرة من صباح اليوم التالى استيقظ جريمى وخرج من منزله على الفور دون تناول طعام الإفطار فعمدة البلدة لا يسكن بعيدا عنه ، وعلى الباب دق جريمى بيده بقوة حتى أيقظ العمدة الذى خرج إليه بملابس النوم وهو غاضب .. قال جريمى .. جئت لأبلغ عن قتل آنى جرينوود .. رد العمدة : قتل من ؟ من قتلها ؟ أم أنك تعترف بالجريمة .. ؟

قال جريمى : إننى أتهم جون شارب وجيمس واكر بالتعاون معا لقتلها أمس .. وإذا ذهبنا إلى منزل والديها سنتأكد يقينا من أنها لم تعد إلى المنزل طوال أمس ..

فدعاه العمدة للدخول .. ثم صعد هو لتبديل ملابسه .. ثم نزل وطلب منه الانتظار حتى يذهب هو بنفسه إلى منزل جرينوود .. وبعد نصف ساعة عاد العمدة وهو يقول : « إن السيدة جرينوود قلقة للغاية .. وتحدثت عن تصرفات ابنتها خلال الأسابيع الماضية وقالت إنها لم تعد الليلة الماضية .. وهى أول مرة تتغيب فيها عن منزلها طوال عمرها ..» ..

فقال جريمى : » «وإذا أخذتك إلى قبرها أيها العمدة .. هل ستصدق عندما ترى عنقها المقطوع أنها قتلت » ..

رد العمدة : إذا رأيت كل هذا ستكون هناك مسرحية حمقاء ، فهذه أخطر تهمة يمكن توجيهها لاثنين من المواطنين .. وربما كان من الأفضل أن تعلن اتهامك. إذا كنت لا تزال مُصرا. فى حضور هذين الشخصين وسوف استدعيهما ..

« ألن تأتى معى لتفقد المقبرة ؟ » .. « ليس بعد .. إذا كان هناك اتهام خطير مثل هذا فإن هذين الشخصين اللذين تتهمهما يجب منحهما فرصة الرد .. قال جريمى : « ولكن .. الجثة .. »

قال العمدة : الجثة يمكن أن تنتظر .. فحتى لو عثرت على الجثة .. وتأكدنا أنها تخص آنى جرينوود فمن يقول إن هذين الشخصين متورطان في قتلها ؟ .. إن حقهما هو أهم ما فى الموضوع بعد هذا الاتهام .. وإذا كانت آنى جرينوود قد ماتت فإنه لا توجد قوة على ظهر الأرض يمكن أن تعيدها ، ولكن هذين الشخصين سيفقدان على الأقل جزءاً من سمعتهما .. وربما حياتهما .. إذا كانت لأى منهما علاقة بالجريمة .. وإذا لم تكن لهما علاقة .. فإن الطين سوف يظل ملتصقا بهما للأبد .. وعليه تصبح الخطوة الأولى هى إعلان الاتهام رسميا فى وجودى ..
سأل جريمى : بدون جثة .. وبدون دليل على لعبة حمقاء ؟ ..

قال العمدة : نعم .. إن هذا هو أخطر اتهام يمكن أن توجهه ياجيمس جريمى .. وسوف أتخذ كل الإجراءات .. فى المساء تم إعلان الاتهام رسميا .. وأنكر المتهمان .. وكانت التهمة المضادة هى أنه مادام جيمس جريمى هو الوحيد الذى يعرف أن جرينوود قتلت .. فإن المنطق هو توجيه الاتهام إليه بأنه هو القاتل ..
شحب لون جيمس عندما سمع هذا .. وأدرك فجأة أنه عندما عاد

إلى المقبرة وحفر بحثاً عن جثمان الضحية .. لم يجد شيئاً ..

وفى المساء .. وبينما هو فى فراشه بجوار زوجته التى كانت تغط فى نوم عميق سمع جيمس الصوت الواهن الذى أصبح يرعبه .. كان الصوت شديد الوهن : « تذكر ياجيمس ما قلته لك .. سيملأ شبحى أحلامك إلى الأبد » ..

وفى اليوم التالى أصر على اصطحاب العمدة . إلى مكان القبر .. ولكن عندما ذهبا وجد أنه نسى أى شجرة سنديان وقف هو وشبح جرينوود إلى جوارها على بعد ١١ خطوة .. إن هناك عشرات الأشجار .. ونفد صبر العمد ورفض الاستمرار فى البحث ..

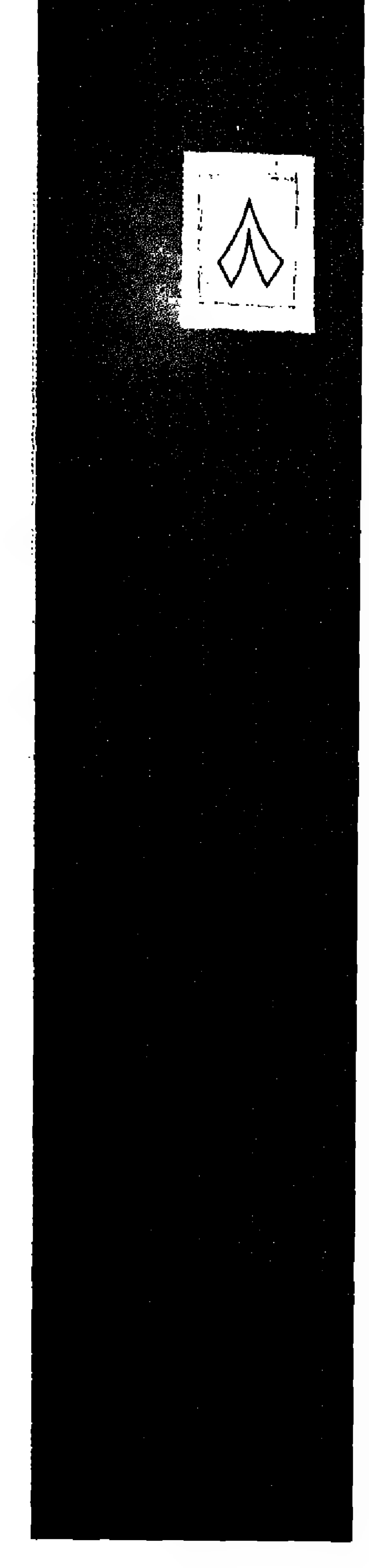
وذهب جيمس وحده فى اليوم التالى لاستكمال البحث .. دون جدوى .. وفى المساء سمع نفس الصوت الواهن يذكره بما قال ..

بعد أسبوع بدأ نظر القضية أمام العمدة .. وكان جيمس يذهب كل يوم للبحث عن القبر .. وبدأ يواجه الأعين تتهمه هو نفسه .. بينما هو لايستطيع إيجاد الدليل على اتهامه ..

وذات ليلة بينما هو نائم جاءته فكرة الذهاب إلى نفس المكان فى نفس الوقت الذى ذهب فيه أول مرة .. وبعد أن سار لمسافة نصف ميل تقريبا وقف ليجد نفسه بالفعل بجوار شجرة سنديان .. وبدأ يعد خطواته .. وفى الخطوة الحادية عشرة وجد المقبرة .. وبدأ يحفر .. ليجد الإناء المملوء بالدم .. وترك القبر مفتوحا .. وعاد بعد ساعات قليلة إلى منزل العمدة . وحكى القصة وطلب بعض الشهود .. واثنين من حفرة القبور المحترفين .. وذهبوا جميعا فى حضور العمدة وحفروا ليجدوا الجثة .. وخلال ثلاثة أيام انتهى نظر القضية وصدر الحكم بشنق الرجلين .. ولكن تنفيذ

الحكم تأجل لمدة أسبوع حيث تقدما بالتماسات العفو .. ثم فى الأسبوع الأخير من عام ١٦٨١ تم تنفيذ حكم الإعدام شنقا فى كل من جون شارب وجيمس واكر .. وفى تلك الليلة وبينما جيمس جريمى فى طريقه إلى فراشه همس أحلى وأنغم صوت فى العالم فى أذنيه : شكرا لك ياجيمس .. وليباركك الله ..

إننى لن أضايقك مرة أخرى » ..



هل كان دراكيولا يبحث عن حذاء جديد ؟
طلب الغريب ذو المعطف الأسود فردة حذاء وذهب إلى المقابر لينام فى مقبرة حديثة !

الإسكافى .. والمقبرة

إيان فيلوس جوردون

كان رابى هينسبيكل مشهورا كأحسن إسكافى أو صانع أحذية فى بلدة سانت أندروز باسكتلندا .. ومهما كان برد الشتاء فإن هينسبيكل كان يصر على فتح محله فى السادسة صباحا .. ولم يكن ذلك يكلفه مشقة كبيرة فمحله ليس أكثر من حجرة فى الدور الأرضى من منزله ..

وفى صباح أحد أيام شهر ديسمبر كان رابى فى محله يعمل بجد منذ أكثر من ساعتين عندما حضر إليه عميل والساعة تدق الثامنة صباحاً .. كان بعض من ضوء النهار لايزال فى الشارع .. دخل الرجل المحل وأغلق الباب وراءه .. نظر إليه رابى .. وقد تضايق قليلا حيث كان ينهى العمل فى حذاء أسود جميل بإبزيم فضىٍّ .. ولاحظ أن الغريب لا يبتسم .. كان طويلا بشكل واضح ويرتدى معطفاً أسود طويلا .. حتى إنه يبلغ طول رابى مرة ونصفاً .

قال له : نعم .. ماذ تريد ؟ كان الأمر مثيرا للدهشة أن يحضر العملاء فى وقت مبكر هكذا ، فهذا هوَ وقت إنجاز العمل .. وقد بدأ الضيف وكأنه استيقظ من سبات طويل وهو يقول : آسف

جدا .. إنها وقاحة منى الآن مجرد الوقوف هنا والحملقة فى عملك الجميل .. ولكن هل تعمل بهذه المهنة منذ فترة طويلة ؟ ..

رد رابى : «نعم منذ كان عمرى ١٠ سنوات .. أى منذ ٢٦ سنة .. وقد ورثت المهنة عن أبى ..» .. قال الغريب أحقا ذلك ؟ .. قال رابى: «نعم .. ولا توجد أحذية فى العالم كله أفضل من أحذية تام هينسبيكل» .. رد الغريب قائلا : «إذن فأنت تسير على .. خطواتهم» .. وضحك ضحكة عريضة .. قال رابى وقد بدأت كراهيته تزداد للغريب : «إننى فخور باتباع خطى أبى .. وفخور بحقيقة أنه لا يوجد صانع أحذية فى سكوتلندا يمكنه أن يطاولنى .. بالرغم من أننى لا يمكن أن أصل إلى مستوى أبى .. قال الغريب الطويل فى المعطف الأسود : «إنك تحاول أن تبدو متواضعاً» .. نظر رابى جيدا إلى وجه الغريب فوجده شاحباً حتى برغم أشعة الشموع الصفراء داخل المحل .. ولاحظ رابى أن الشموع تذوب بسرعة .. بينما هذا الغريب يضيع الوقت فى حديث لا معنى له .. لذلك فقد نظر إلى الشموع ثم إليه وسأله : «هل تريد شيئاً لنفسك ؟ ..

رد الغريب : هذا الحذاء الذى تعمل فيه الآن .. هل هو لأحد ؟ .. «لا . ليس لأحد عندما سأنتهى منه سأضعه فى فاترينة العرض .. وعندما يراه أحد الناس سيأتى ليجربه .. وإذا جاء مناسبا سيشتريه .. وسيخرج سعيداً لأننى لا أطلب أسعاراً كبيرة» .. فسأل الغريب : وكم تطلب لهذا الحذاء الذى تعمل فيه الآن ؟ .. قال رابى : إننى لم أنته من «الفردة» الأخرى بعد .. قال الغريب : وكم ستطلب فى الزوجين عندما تنتهى منهما ؟ قال رابى : «٨ شلنات» رد الغريب : «حسنا .. إذن سأشتريه» .. فسأله رابى مندهشا : ولكنك حتى لم تجرب تلك التى فى يدى .. فكيف تعرف أن الحذاء سيناسبك ؟ .. قال الغريب : أعرف أنه مقاسى ..

قام رابى بالانتهاء من وضع الإبزيم مكانه .. وسلم فردة الحذاء للغريب وهو يهز كتفيه .. فقام الرجل الغريب بخلع فردة من حذائه البنى الغريب .. ثم وضع الحذاء الجديد مكانه .. وقال .. لرابى : ها أنت ترى أنه مقاسى تماما .. إذن سأشترى الحذاء .. قال رابى : ولكن الفردة الأخرى لن تنتهى قبل يوم كامل .. لم يعر الغريب ما قال رابى أى انتباه ووضع يده فى جيب معطفه الأسود العميق .. وأخرج بضع قطع فضية أعطاها لرابى : هاهى ٨ شلنات ثمن الحذاء .. ومتى ستكون الفردة الأخرى جاهزة ؟ قال رابى : فى الرابعة بعد ظهر غد .. الرابعة تماما .. قال الغريب : إذن اتفقنا سأعود للحصول على الفردة الأخرى غدا فى الرابعة .. وسآخذ هذه معى ..

بعدها ولدهشة رابى .. لم يخرج الغريب وفردة الحذاء تحت إبطه .. ولكنه وضع فردة الحذاء البنى القديم فى جيب معطفه .. وخرج من المحل مرتديا فردتين إحداهما قديمة .. والأخرى جديدة ..

ونظر رابى إلى العملات الفضية التى تبرق فى يديه .. إنها جديدة تماما .. وبدأ يفكر فى سلوك هذا الغريب .. ثم قرر أن ينسى كل شىء ووضع العملات الفضية فى جيبه وبدأ يعمل فى فردة الحذاء الأخرى ..

وفجأة وجد جسده يرتعش من البرد .. ما هذا ؟ .. إن المحل دافىء .. وهو لم يكن يشعر بأى تعب عندما استيقظ .. ما هذا ؟ هل هذا هو الخوف الذى تركه هذا الغريب ؟! أم أن هذا الغريب جاء ومعه هذا البرد ؟! وشعر رابى أن روحا ما قد تملكته ..

بعد قليل ارتدى رابى ملابسه .. وترك فردة الحذاء .. وأغلق باب المحل خلفه وخرج فى نصف الظلام فى ذلك الصباح من فصل

الشتاء .. يبحث عن زبونه الغريب فى شوارع سانت أندروز الضيقة .. وفى الشارع الذى امتلأ بالرياح وصوت ماء البحر خلفه بدأ رابى يتعجب من سبب إجبار هذه الروح الزائرة له على الخروج من دفء المحل إلى برودة الجو .. ولكن شيئا ما كان يدفعه للبحث عن الرجل الغريب ..

وفجأة .. بدأ يسمع وقع أقدام عرفها على الفور .. إن صاحبها يرتدى فردة من حذاء قديم .. وأخرى جديدة .. وبالفعل رأى الرجل الغريب من ظهره .. وأمام مدخل مدفن ضخم وقف الرجل الغريب .. ووقف رابى أيضاً .. وتساءل : ماذا يريد هذا الغريب من المدفن ؟! ..

وحاول رابى أن ينتظر قليلا حتى لا يراه الغريب الذى كان يعدو بين شواهد القبور الرخامية .. فجأة توقف الرجل الغريب .. وبدأت دقات قلب رابى تتوالى بصوت مرتفع ..

ثم حدث مالم يكن يتوقعه رابى على الإطلاق .. شىء مخيف أكثر رعبا من حدوث مواجهة مع الغريب .. اختبأ رابى خلف أحد القبور .. وكانت دقات قلبه عالية الصوت حتى إنه خشى أن تفضحه .. وشعر بأن قدميه لا تتحملانه .. ذلك أن الرجل الغريب نظر بهدوء إلى قبر فارغ محفور حديثا ثم قفز داخله .. خرج رابى من المكان المختبىء فيه ـ والرعب يملأ قلبه ـ ليرى رأس الغريب وكتفيه وهو يرقد فى المقبرة ويهيل التراب فوق نفسه بأقصى سرعة ..

ملأ الرعب قلب رابى وهو يقترب من القبر .. ثم وهو يعدو بأقصى سرعة ممكنة فى الشارع المؤدى إلى المدافن إلى منزل أحد أصدقائه .. وأخذ يضرب باب المنزل بقوة كالمجنون .. وطلب

من صديقه جون لامسدن أنْ يحضر إليه على وجه السرعة ويستدعى بعضْ الأصدقاء الآخرين .. «لقد حدث شىء مرعب فى المدافن .. إننا فى حاجة لأن نحفر قبرًا .. وسنحتاج إلى معاول» .. قال لامسدن فى رعب : «نحفر قبرا ؟ . ولكن ؟» .. «إن لم تحضروا وتفعلوا ما أقول فإن الشيطان بنفسه سيأتى إليكم هذه الليلة ..

وعلى الفور خرج لامسدن إلى الشارع وأيقظ اثنين من جيرانه .. وخلال دقائق كان ٤ رجال .. ٣ مرتبكون .. وواحد يسوده الرعب .. يحملون المعاول فى طريقهم إلى المدافن .. وبعد دخولهم أشار رابى : «هذا هو» .. رد أحدهم : ماذا ؟ .. قال : «المقبرة الجديدة .. هنا تماما» .. «إننى أراها ولكن مقابر جديدة تحفر هنا كل يوم ...» .. قال رابى : نعم ولكن هذه المقبرة مختلفة .. لقد شاهدت الرجل لتوّى بنفسى وهو ينزل داخلها» .. «ينزل داخلها بنفسه ؟» .. «نعم .. نعم .. كما قلت لكم .. نزل بنفسه وأهال التراب فوقه» ..

«بدأ الرجال الأربعة يحفرون .. خلال دقائق وجدوا الرجل الغريب فى المعطف الأسود .. كان ميتا .. ميتا بلا شك .. دون نعش ..

«والآن ماذا تريدنا أن نفعل يارابى هينسبيكل ؟ .. أليس أفضل له أن يرقد فى مقبرته عن أن نحفر له واحدة .. وعلى كلٍّ فإنها خطيئة أن نحفر قبر رجل ميت ..

وهنا فكر رابى الذى لم يكذب قط على أحد .. أن يستخدم الكذب مرة .. «إننى أريد أن أخرجه من المقبرة لأنه سرق حذاء منى وهو يرتديه» .. «سرق حذاء ؟!» .. «نعم .. جاء إلى محلى

هذا الصباح منذ ساعة أو أكثر .. وأخذ أجمل حذاء كنت قد انتهيت منه لتوّى .. ووضعه فى قدمه وجرى .. وهو يرتدى فردة حذاء قديم وأخرى لحذاء جديد لم يدفع ثمنه » .. « ولكنه شيء مختلف .. إنه ميت مثير للضحك ، ذلك الذى يخرج ليسرق الأحذية !» .. قال رابى « نعم هذا ما فعله .. ولكى يثبت لك صدق ما قلت .. عليكم أن تحفروا حتى قدميه وسوف ترون فى إحداها فردة من حذاء أسود جميل صنعته بإبزيم فضى .. وستجدون فردة الحذاء القديم فى جيب المعطف » ..

واستمروا فى الحفر .. كان صانع الأحذية على حق .. برغم أن الحفر استغرق وقتا طويلاً ، صاح رابى فى لهجة المنتصرين : « ها هى ذى - ها هى ذى فردة حذائى .. دعونى أخرجها من قدمه فقط » .. وعادوا يهيلون التراب فى المقبرة .. وبعدها خرجوا جميعا من المقابر بينما صانع الأحذية يحاول تنظيف الحذاء الأسود من الطين الذى ملأه ..

وعندما وصلوا إلى الشارع الذى يسكنه الثلاثة شكر لهم رابى مساعدتهم من كل قلبه .. وردوا تحيته بقولهم إنهم سعداء بتقديم الخدمة خاصة عندما يكون الهدف منها حفر قبر لرجل دفن نفسه منذ قليل .. وقال أحدهم لو كان الرجل حيا لكنا قد هنأنا أنفسنا على إنقاذ حياة .. ولكنه لم يكن حيا ..

وودعهم رابى هينسبيكل .. وبدأ يفكر فى الثمن الذى سيطلبه للحذاء .. وحتى لو طلبت ٨ شلنات فقط .. للحذاء .. فإننى سأكون قد ربحت ١٦ شلناً .. وقال لنفسه إنه لابد أن ينتهى من الفردة الأخرى للحذاء قبل الرابعة بعد الظهر .. والآن عليه أن يحتفل مع الأسرة .. ليست هناك ضرورة ليقول كل شيء لزوجته .. سيقول

فقط إنه صنع حذاء جميلا وحصل مقابله على مبلغ جيد من المال ..

وبالفعل كان حفلا استمر حتى منتصف الليل .. وذهب رابى لينام فى حجرته بينما زوجته قلقة جدا فى حجرتها .. لم يتوقف رابى عن الغناء طول الليل .. حتى إنها تمنت أن ينام ليمكنها النوم .. وعندما دقت الساعة الواحدة .. كانت هى لا تزال مستيقظة .. وكذلك عندما دقت الثانية .. ثم الثالثة .. فالرابعة .. وأغنية رابى لا تزال مستمرة .. وفجأة توقفت الأغنية .. وصدرت أعنف صرخة سمعتها زوجته فى حياتها حتى إنها غطت أذنيها بالوسادة على السرير .. ثم أسرعت إلى حجرة الزوج فلم تعثر له على أثر .. ونزلت إلى المحل فلم تجد شيئاً ..

فأسرعت إلى بعض أصدقائه الذين كانوا معه صباح اليوم السابق فى المدافن وأسرعوا جميعاً إلى هناك ومعهم الزوجة .. وعندما نظروا إلى المقبرة التى كانوا قد حفروها وجدوا قبعة رابى .. ومعطفه .. ثم وجدوا جثة الرجل الغريب الطويل وهو يرتدى فى قدميه فردة حذاء أسود جميل بإبزيم فضى !!

٩

أسطورة شبح سير بارنــى بروجريف .. وأسرته .
حفل ليلة رأس السنة .. كل ضيوفه من الأشباح وهذا شبح لحمــار أبــيض يختــرق الجدران .

بعض أشباح نورفولك

جيمس ونتورث داى

كنا عائدين فى ضوء نجوم الشتاء عبر مستنقعات بروجريف المقفرة التى تقع بين التلال الرملية وبحر الشمال البارد .. فى واحدة من أبعد المناطق وأكثرها وحشة وبرودة أيضا فى إنجلترا ، وعلى هذا الساحل كان يوجد الكثير من السفن .. كنا نسير على أرض لم تتغير لقرون .. قلت لصديقى ديك جيتنز : « إنه لشىء طيب أن نعرف طريقنا فى هذه المنطقة .. كان كل منا يحمل بندقية ثقيلة لصيد البط .. وحقيبة جلدية مع كل منا نحمل فيها زوجين من الأرانب البرية .. رد جيتنز : « أعتقد أنه يصبح شيئاً شديد الصعوبة أن يضل إنسان طريقه هنا » .. وبعد لحظات قال جيتنز : إن هذه المنطقة كلها كانت تخص رجلا واحدا هو بروجريف ولذا سميت باسمه .. والمزرعة هناك هى مزرعته .. وكذلك البرج ..

فقلت له : إن أسطورة سير بارتى بروجريف ذلك البارونيت صديق الأشباح إحدى الأساطير المعروفة جيدا فى تاريخ نورفلك .. ويقال إن السير بارنى باع روحه للشيطان .. ويبدو أن الشيطان تركه فى مقابل شىء كبير ..

ولكن قبل الحديث عن أساطير السير بارنى فى هذه الليلة الشتوية المظلمة .. دعنا نتحدث عن ضيعة فوكسهام هول .. إن احداً من عشاق الفن المعمارى والتاريخ القديم والجمال لابد أن يكون قد هاله ما شاهد فى بناء هذه الضيعة سواء القصر أو الكنيسة .. إنها تبدو كقطع من الجواهر تتلألأ تحت التلال الرملية فى إطار من مئات الأمتار على البعد من بحر الشمال .. وكم مرة تعرضت المنطقة لفيضان البحر ولكن فى النهاية كانت هذه الضيعة تظل كجزيرة وسط بحيرة هائلة .. وفى ذات مرة عام ١٩٣٨ ظهر شبح سير بارنى يسير على الماء راكبا فرسه ويصعد على جدران القصر الذى عاش فيه من قبل .. وكان يضحك ضحكة عالية كصوت الرعد .. ويقول بصوت عال : «لقد أغرقتم أراضىَّ وضيعتى تحت الماء» ..

كنت أفكر فى هذا وأنا قابع ـ ليس بعيدا ـ على قمة التلال الرملية العالية .. وإلى أسفل مياه البحر وتحتها يظهر القصر والضيعة .. التى عاش فيها وحارب وشرب ، وقد مات السير بارنى بروجريف فى القرن الخامس عشر ..

وقد كان هناك الكثير من الضياع التى غرقت حاليا تحت الماء .. وفى كتابه عن تاريخ نورفولك يقول بلومفيلد ـ نشر الكتاب عام ١٧٧٥ : كان أوليفر دى إنجهام هو حاكم هذه المنطقة عام ١١٨٣ ، ثم جاء بعده السير جون دى إنجهام فى عهد الملك جون ..

ومن هذه الأسرة وعن طريق النسب وصلت إلى سير مايلز ستابلتون ، ومن تلك الأسرة وعن طريق النسب وصلت إلى سير ويليام كالثورب الذى قام حفيده ويليام كالثورب ببيعها إلى سير

توماس ودهاوس الذى كان لورداً فى عهد الملكة إليزابيث .. ومن هذه الضياع كانت ضيعة إنجهام ..

ويقال إنها كانت مسكونة بأرواح أسرة بروجريف الذين ماتوا مقتولين .. ومنهم سير رالف ثم سير أدموند الذى مات فى حرب البارونات .. وسير جون وسير فرانسيس وسير توماس وسير تشارلز ..

أما سير بارني فقد كان نموذجا لزير النساء الفاسق الأعزب .. ولكنه لم يكن شريرا لأنه لم يضر الآخرين قدر ما أضر بنفسه .. وقد كان رجلا شجاعا قويا شديد البأس .. مات أعزب ولكن عدد عشيقاته كان كثيرا .. فقد كن يعتبرن الحمل منه شرفاً كبيراً ..

ويتذكر ديك جيتنز ما قاله بعض العجائز عن حفل العشاء فى ليلة العام الجديد الذى كان يقيمه سير برنى فى فواكسهام هول لأشباح أقاربه سير رالف وسير أدموند وسير جون وسير فرانسيس وسير توماس وسير تشارلز .. حيث كانت المائدة الكبيرة فى حجرة الطعام يتم إعدادها بالأطباق الفضية و أكواب الكريستال .. وتوقد الشموع .. وعلى رأس المائدة كان يجلس سير بارنى .. وعلى جانبيه ٣ من هؤلاء الأجداد الأشباح .. تملأ كئوسهم بالنبيذ الأبيض والبراندى المعتق فى كل مرة .. ويفرغونها ثم تملأ من جديد .

وكان الخدم يملئون الكئوس كل مرة .. ويرفع سير بارنى كأسه قائلا : إننى أشرب فى صحتكم سير أدموند .. سير رالف .. سير تشارلز ..

ثم يبدأ فى إلقاء الأغنيات القديمة التى تمتدح شجاعتهم فى المعارك .. وشجاعة بعضهم فى صيد الثعالب .. وفى منتصف

الليل تترك الأشباح المكان وتخفت أضواء الشموع .. ويرتمى سير بارنى فى مكانه على رأس المائدة حتى الفجر .

لذلك فإن الذين شاهدوا شبح السير بارنى وهو يتجول فى الليالى الشديدة البرودة كانوا يرونه كأثر قديم متهالك .. وكان والتر راى أحد المحامين المعروفين فى نورفولك وهو من مؤرخى عائلات نورفولك ، وكان واحدا من الذين قدموا شهادتهم عن شبح سير بارنى .. وعن سير بارنى ذاته حيث قال :

لقد كان سير بارنى بروجريف رجلا شريرا باع روحه للشيطان نهائيا .. وعندما مات ذهب ودعا الشيطان ، وقال له : هأنذا ! وقال له الشيطان : «سير بارنى إننى أراك رجلا لطيفاً » .. فقال سير بارنى : حسنا .. إن عليك أن تطلب منى الجلوس .. فقال له الشيطان : «إننى ابحث فى حسابك لأحدد كيف ستكون بعد .. وكان يسعدنى أن تقضى معى الليل .. ولكن هذا غير ممكن» ..

هنا تساءل سير بارنى أين يذهب تلك الليلة .. وقال غاضبا لنفسه إلى الجحيم .. وبقى هناك ..

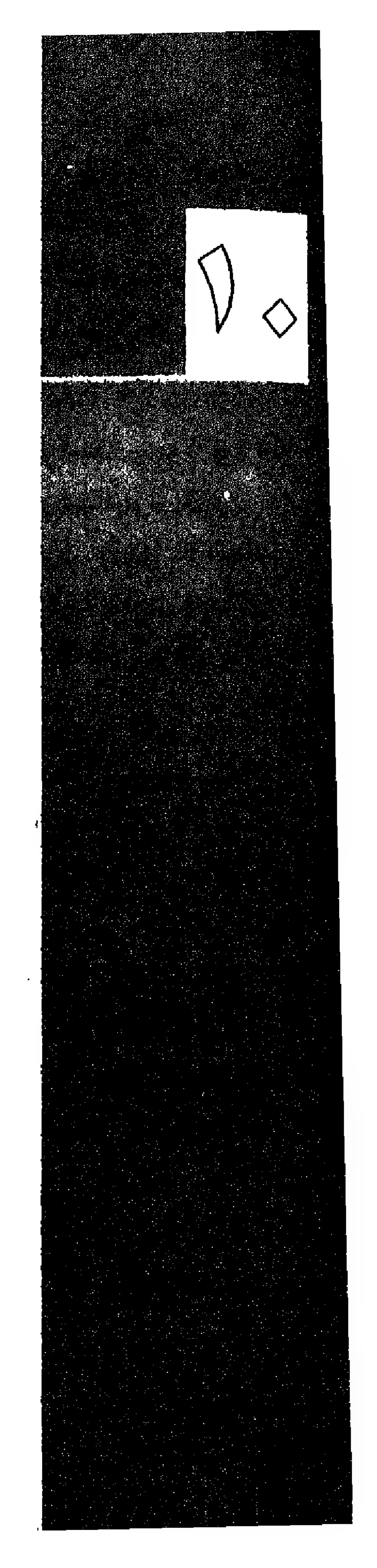
والآن تحولت مملكة سير بارنى بروجريف فى الصيف إلى مكان مشمس هادىء .. أما فى الشتاء فتصبح مكانا مريراً مليئا بالضباب المثير للحزن والخوف .. والمجارى المائية السرية والأشجار الضخمة المعمرّة ..

وهناك شبح شهير آخر من الأشباح التى تسير على سطح الماء وهو الكولونيل توماس سيدنى الذى اختطفه الشيطان فى ٣١ ديسمبر ١٧٧٠ ، والقى به فى عربة تملؤها الأشباح .. سارت به فى شوارع منطقة رانورث .. وأخذت العربة تجرى مثيرة لأبخرة غامضة فى الهواء .. ويحدث فى نهاية كل عام أن تجرى نفس العربة فى الشوارع مثيرة للأبخرة الغامضة ..

وقرية رانورث مليئة بالأشباح وفى كنيستها الفخمة يوجد كنز ثمين .. وهو كتاب عن كل أعمال السحر فى العصور الوسطى .. كما تضم هذه الكنيسة مجموعة من أجمل اللوحات الزيتية التى يقال إن مجموعة من الأعضاء الألمان فى مدرسة فيلهيلم من كولونيا الذين أقاموا فى نورفولك فى القرن الخامس عشر هم الذين قاموا برسمها فى القرن الخامس عشر ..

ومن الطف الأشباح فى قرية نورث شبح لراهب يقولون إنه يظهر فى الليالى المقمرة فى قارب من طراز قوارب العصور الوسطى ، وبجانبه شبح لكلبه البنى يجلس إلى جواره ..

وهناك أيضا شبح حمار له قرون ، وهو حمار أبيض غير مُؤْذٍ .. ويحكى أحد سكان قرية رانورث عن هذا الحمار قائلا : «كنت عائدا فى إحدى ليالى الشتاء الباردة وسمعت صوتا غريبا ورائى .. نظرت لأجد حمارا أبيض له قرون .. بدأت أحاول الاقتراب منه .. وبالرغم من أننى كنت أسير تجاهه فإن المسافة بيننا لم تكن تقصر .. ثم فجأة انطلق الحمار يعدو .. وبدأت أشم رائحة الكبريت قوية .. وأخذ يختفى تدريجيا حتى أصبح مجرد ضوء قوى يبرق على البعد ، بعد أن مرق عبر جدار الكنيسة .. وفى صباح اليوم التالى ذهبت إلى نفس المكان ولكن لم أجد أى فتحة فى جدار الكنيسة !



هذا المؤلف يحكى قصته مع المنزل المسكون كلما انفرد بنفسه سمع صوت أقدام . فى الطابق الأعلى.. وعندما يصعد لا يرى أحدا .

المنزل المسكون

عندما توفيت زوجتى الأولى كنت أسكن شقة صغيرة فى قرية بسيطة .. كنا قد انتقلنا إلى منطقة (كنت) من منطقة جزر القناة قبلها بست سنوات ..

كان الأطباء قد أجروا جراحة لزوجتى واستخرجوا ورما خبيثا من من ذراعها وأبلغونى أنه محكوم عليها بالموت قريبا .. ونصحونى بأن أجعل العالم من حولها شيئا مثيرا للسعادة والفرح .. ونجحت تماما فى ذلك حتى أنها عندما ماتت بعد ذلك بثلاث سنوات كانت صدمتى شديدة لأننى صرت لا أتوقع أن يكون ماقاله الأطباء صحيحاً ..

لم أكن متأكدا مما إذا كانت زوجتى تعلم شيئا .. ولكننى كنت أشعر أنها تدرك الحقيقة وأنها تحاول بكل الطرق نشر السعادة من حولى حتى لا أعرف .. ومن بين أسباب اعتقادى فى ذلك أنه بمجرد إجراء الجراحة طلبت منى بإلحاح تغيير الشقة التى نسكنها بشقة أوسع يمكنها أن تتحمل أطفالنا وأسرهم فيما بعد .. وبالفعل عثرت لنا على منزل كبير على الطراز الجريجورى تم بناؤه عام ١٣٦٤ .. كان المنزل يتكون من ٣ غرف فى الدور الأرضى و ٧ حجرات نوم فى الطابقين الأول والثانى .. وقد جعلت

من إحدى حجرات الدور الأول حجرة مكتب لى .. فوقها كانت هناك حجرة نوم كبيرة كان الوصول إليها عبر حجرة نوم اخرى .. بينما هناك سلم داخلى يؤدى إلى حجرات النوم الأربع فى الطابق الثانى ..

وفى الطابق الأرضى كانت حجرة المكتب الخاصة بى منفصلة عن حجرة الطعام بصالة طويلة .. وكان باب المدخل لحجرتى مغلقا بصفة دائمة وغير مستخدم .. اما حجرة الطعام فكانت تفصلها عن حجرة الاستقبال صالة أخرى .. كنا نستخدم غرفة الطعام فقط عندما يكون لدينا ضيوف ولكننا نستخدم حجرة الاستقبال دائما ..

هذا الوصف الدقيق للمنزل له ما يبرره مما سيأتى ذكره فيما بعد .. ولكننى أود التركيز الآن على المسافة التى تفصل بين حجرة الاستقبال وحجرة المكتب لأوضح كيف لم نكن ننتبه لبعض الأعمال غير الطبيعية .. وهو اساس روايتى .. قبل ذلك ..

فى يوم ١٤ ديسمبر ١٩٦٤ ذهبت إلى منطقة كانتر بيرى بهدف الفحص الدورى لزوجتى فى مستشفى (كنت) والقيام ببعض المشتروات الخاصة بأعياد الميلاد .. بعد الفحص فى المستشفى ذهبنا إلى أحد الفنادق لتناول طعام الغداء .. كان القلق باديا على زوجتى حيث إن أحد الأطباء طلب بعض الفحوصات عليها وتعليقا على ذلك قالت لى : أعتقد أنهم يشكون فى إصابتى بمرض اللوكيميا ..

حاولت تهدئتها وقلت لها إن كل ما تعتقده ليس أكثر من اوهام .. شعرت انها تنظر إلىَّ كما لو كانت تحاول اكتشاف ما

إذا كنت أكذب عليها .. ثم وضعت يدها فوق ركبتى وقالت : حسنا ياعزيزى إننى أصدقك كالعادة ..

وبينما نحن نتناول طعام الغداء ناقشنا خطط الشراء .. وبرغم قلقها فإنها كانت متحمسة جدا .. وبعد الغداء وبينما نحن نتناول القهوة وجدتها متعبة .. فاقترحت عليها أن تعود للمنزل حتى تستريح ونخرج فى اليوم التالى .. ولدهشتى وافقت فى الحال .. وقمنا لكى نغادر المكان .. وطلبت هى الذهاب إلى الحمام .. وانتظرتها فى صالة الاستقبال ولكنها تأخرت لوقت طويل .. ذهبت إلى الحمام وجدت على الباب ضجيجا جعلنى أشعر بالقلق وأن هناك شيئا غير سار .. ووجدت إحدى العاملات فى الحمام تهرول خارجة، أوقفتها وطلبت منها العودة للاطمئنان على زوجتى .. فوقفت قليلا ثم مضت فى طريقها .. وهناكسرت كل القواعد واقتحمت الحمام لأجد زوجتى علىَ الأرض .. نظرت إلىَّ وحاولت أن تقول شيئا لكنها لم تستطع .. كان الشلل قد أصابها تماما باستثناء ذراعها اليسرى ..

بعد قليل وصلت سيارة الإسعاف وحملت زوجتى .. وتابعتهم إلى المستشفى بسيارتى .. وبعد ساعات بدت لى كأنها أيام طوال جاءنى الطبيب قائلاً : أخشى أن تكون النهاية، لقد هاجم السرطان المخ دون إظهار أى أعراض .. إن أمامها ساعات أو أيام قلائل .. إننى لجد آسف » .. « النهاية » عمَّ يتكلم هذا الرجل؟ كيف يمكن أن تكون هذه هى النهاية؟ .. كانت الصدمة ـ كما قلت ـ أشد مما توقعت .. وعاشت زوجتى (جُو) فى غيبوبة لمدة ١٠ أيام وماتت فى الثانية والنصف عشية عيد الميلاد ..

كنا قد تزوجنا منذ ٣٢ سنة .. واقتربنا أكثر وأكثر خلال

الاثنى عشر عاما الأخيرة .. كان عمرها ٥١ سنة .. ولذلك كان حزنى شديدا .. لم يخفت أبدا .. وأصبح المنزل الكبير بحجراته الإحدى عشرة هو ضريحى .. كنت أغادره فقط لشراء الطعام وسرعان ما أعود إليه ..

كنت أنام ٤ ساعات فقط يوميا منذ الحرب العالمية الثانية .. حين أصبحت كاتبا متفرغا .. أستيقظ فى الرابعة صباحاً وأظل اكتب لمدة ٣ ساعات ثم أتناول طعام الإفطار وأعود إلى الكتابة .. حتى أتناول طعام الغداء وأعود إليها مرة أخرى حتى السادسة ، بعدها أترك العمل جانبا حتى موعد ذهابى إلى الفراش .. وفى أيام السبت والأحد لا أكتب مطلقا .. أما الآن ولأن العمل هو الشىء الوحيد الذى يجعلنى أنسى حقيقة فقدانى لنصف حياتى .. فإننى بعدّ تناول عشائى الخفيف فى السابعة مساء أعود إلى حجرة مكتبى ..

وحدث ذلك ذات مساء فى بداية الربيع .. سمعت صوت خطوات أقدام فى حجرة النوم أعلى حجرة مكتبى .. وللحظة اعتقدت أن ما أسمعه هو مجرد تخيل .. (على فكرة أنا لست كاتبا خياليا) .. كانت أصابعى تعمل على أزرار الآلة الكاتبة .. وتوقفت قليلا لأسمع بوضوح صوت خطوات الأقدام .. ظننت أول الأمر أننى نسيت أحد الأبواب مفتوحا فى المنزل وأن بعض أطفال الجيران قد صعد إلى الحجرة .. فقمت من مكانى وصعدت بسرعة إلى الدورالأعلى ، وبدأت أسير على أطراف أصابعى .. وجدت الباب مغلقا ، حاولت أن أفتحه وجدت مقاومة ، صحت بصوت عال : « لأفكاك سوف أمسك بك » .. لم يأتنى رد .. فحاولت أن أفتح مرة أخرى .. وزاد صوت صراخى .. ولا مجيب ..

ازداد غضبي .. وملت بكتفي على الباب .. كانت هناك مقاومة في البداية .. فازداد ضغطي على الباب بكل ثقلي وفجأة انفتح الباب وسقطت على الأرض .. وشعرت بشيء فوقي ، ظننت أنه ملاءة سرير أو ما يشبه .. وبعد فترة من العراك استطعت النهوض وأدرت مفتاح الضوء .. وبالدهشتي لم يكن هناك شيء على الإطلاق .. أو أحد .. لا ملاءة سرير .. أو غيرها ..

قمت من فوري سريعا وهبطت الدرج ابحث عمن كان داخل الحجرة قبل أن يتمكن من الهرب .. ودخلت المطبخ لأجد بابه الخارجي مفتوحا فاستمر اعتقادي بأن احدا ما كان هناك وأنه تمكن من الهرب ..

أغلقت الباب .. وبدأت ابحث في كل مكان بالمنزل لكي أرى ما إذا كان شيء ما قد فقد .. فوجدت كل شيء في مكانه .. صببت لنفسي كأسا وعدت إلى مكتبي .. وبعد فترة بدأ الهدوء يعود إلى نفسي .. وعدت إلى الكتابة .. وبعد أقل من عشرين دقيقة توقفت عن الكتابة غير مصدق لما تسمعه أذناي لقد عاد صوت خطوات الأقدام .. بإيقاع واحد لا يتغير ..

انتظرت قليلا وأنا أصغي لصوت وقع الأقدام ثم خرجت من الحجرة وصعدت إلى أعلى .. وبهدوء شديد توجهت إلى حجرة النوم لأجدها مغلقة .. وضعت أذني على الباب وانتظرت وأصغيت .. لأجد صوت الأقدام تروح وتجيء .. إن إيقاع الأقدام هو نفسه لا يتغير .. فأمسكت بمقبض الباب وفتحته .. وأدرت مفتاح النور .. ولم أجد أحداً على الإطلاق ..

وخلال الأشهر التسعة التالية ظللت اسمع نفس الشيء .. ولكنى لم أحاول أن أعرف السبب .. وفي خريف ذلك العام تعرفت

بزوجتى الحالية .. وفى الربيع التالى تزوجنا أنا وباربارا .. وتركت منزلى إلى منزلها فى قرية قريبة ..

وبعت منزلى إلى زوجين لهما ٣ بنات وشاب .. كانت صغرى البنات عمرها ١٢ سنة .. أما الشاب وهو الأكبر فعمره كان ٢٠ سنة .. وقامت الأسرة بإحداث بعض التغييرات فى المنزل ..

وكان أمام منزلى القديم محل بقالة كبير كان أصحابه يعرفوننى ويعطفون علىَّ كثيرا ، وخاصة أيام مرض زوجتى .. ومنذ وفاتها أصبحنا أصدقاء .. ولأن القرية التى انتقلت إليها مع باربارا لم يكن فيها محل بقالة كبير مثل هذا فقد كنا نقوم بزيارة إلى محل البقالة لشراء لوازمنا ..

وفى أول زيارة لى بمفردى إلى محل البقالة سألنى صاحبه ويدعى آيدى وارد : رونالد .. ماذا تعرف عن الشبح الذى يسكن شقتك القديمة ؟

اضطربت قليلا وتذكرت أننى لم أخبر أحدا على وجه الإطلاق بما مررت به ولا حتى زوجتى باربارا .. وبعد لحظة قلت لآيدى : « قل لى عما تعرف وسأقول لك عما أعرف » ..

رد آيدى : « حسنا » يوم الجمعة الماضى كان كل السكان الجدد خارج المنزل فيما عدا البنت الصغرى التى عادت أولا إلى المنزل .. وعندما دخلت سمعت وقع أقدام فى حجرة الأخت الوسطى مارجريت .. لذلك فقد صعدت إليها لتدعوها لتناول طعام العشاء ، كان باب حجرة مارجريت نصف مغلق وعندما توجهت البنت الصغرى إلى الحجرة أغلق الباب فى وجهها .. وعندما حاولت أن تفتحه لم تستطع .. اعتقدت أن مارجريت تمزح معها .. لذلك فقد أمسكت بالباب وحاولت أن تفتحه .. وفجأة فتح الباب ..

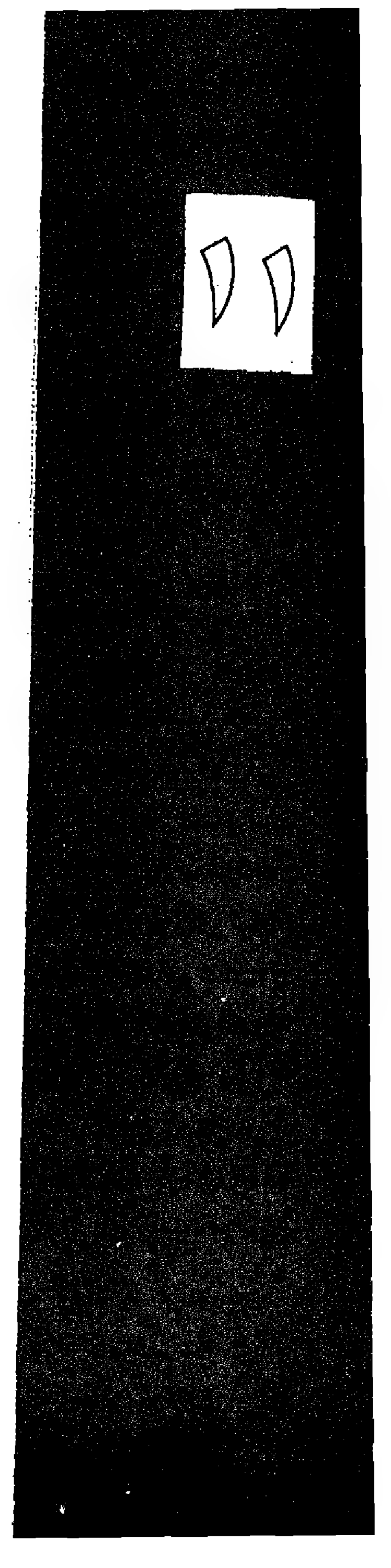
ووقعت على الأرض .. وقامت لتضىء النور لتجد أنها بمفردها فى الحجرة .. فانتابها الرعب وأسرعت تخرج من المنزل وجاءت إلى هنا فى محل البقالة .. لتحكى ماحدث .. وكانت ترتعش .. فحاولت تهدئتها وأعطيتها شيئاً تأكله ..

سألته : وماذا أيضا ؟ قال آيدى إن الابن الأكبر يقيم فى حجرة مكتبك وقد حكى لى أكثر من مرة عن صوت أقدام يسمعه فى الحجرة العليا .. وعندما يصعد إلى هناك لا يجد أحداً .. فصرت أسأله : وما الذى أدراك أن لدى قصة مماثلة ؟ .. فقال لى متسائلا : حسنا لقد قلت لى قل ما تعرف وسأقول لك ما أعرف فهيا احكِ لى ..

وبدأت أقص ما حدث لى .. وبينما أنا أقص الحكاية .. جاء جوردون مساعد آيدى .. وكان قد ولد فى هذه القرية وعاش طول حياته .. وعندما أنهيت قصتى قال : « ها .. إنه ما قلته لك ياآيدى إنه شبح العجوز جو ونتر .. » فسألت : ومن يكون جو ونتر العجوز ؟ ..

قال جوردون : كان ذلك منذ ٥٠ عاما أويزيد .. كان جو ونتر يعيش مع أخت له فى المنزل .. وكان يحمل شمعة ويظل يصعد من الدور الأرضى إلى الدور العلوى لساعات .. وبعد فترة جاء رجال مستشفى الأمراض النفسية وأمسكوا به ..

سألنى آيدى : لماذا لم تقل لنا شيئا عما حدث لك ؟ .. قلت له : «لم أكن سعيدا آنذاك وخشيت لورويت ما حدث أن يظن الناس بى الظنون ! » ..



الأرواح تحـــاصر الطبـــيب البيطرى عاشق الحيوانات .. ظلت روح أبيه تحوم حوله .. حتى أعلن أنه سامحه .

المتطفل

لورنس ويلسون

بوستر لويلين كان طبيبا بيطريا مشغولا بعمله بمدينة فيلتهام .. عندما بدأ الحديث يتزايد عن الأرواح الشريرة .. ولم يكن لدى لويلين أى اهتمام بالسحر والتنجيم .. كانت الحيوانات هى كل عالمه وحياته لذلك فلم يكن لديه وقت للاهتمام بأى كائنات أخرى أيا ما كانت .. ولم يكن يعتقد فى الأرواح الشريرة ، وأصبحت تمثل مصدر إزعاج له داخل بيته الذى يضم ١٦٠ كلبا ..

ولكن لم يكن الاهتمام بالأرواح الشريرة فقط هو الذى جعل بوبستر لويلين يحتاج إلى روح الدعابة والمرح .. فطوال حياته كان معروفا بهذا ، وفى أول كتابين له عن سيرته الشخصية نقرأ عن الصبى الصغير لويلين الذى يعيش بعد الحرب العالمية الأولى مع والديه وشقياته فى منزل كبير فى فيلتهام .. قبلها بسنوات كان والده قد جاء مفلسا إلى لندن من ويلز وكوّن ثروة من صناعة الملابس .. وكان يظن أن ابنه سوف يسير على خطاه .. ولكن منذ طفولته لم يكن لويلين يهتم سوى بشىء واحد هو الحيوانات . وبينما عمره ٤ سنوات كان يرقد قلقا فى الليل يفكر فى الخفافيش التى يمكن أن تقع فى شباك الصيادين فى الليل حول ملعب التنس .. وإذا لم يكن تفكيره فى الخفافيش .. كان يفكر فى

القطط التى تجذب كل اهتمامه .. إنه ينزل بالبيجاما فى الليالى المطيرة لكى يجمع القطط خوفا من أن تموت من البرد ..

كان يتعامل مع الحيوانات بشكل أفضل من البشر .. وكان يرفض أكل اللحوم لأنها من حيوانات أو طيور يحبها .. وقد كانت هناك حياة برية تحيط بالبلدة الصغيرة تلك الأيام ، حيث كانت الأرانب والثعالب والقنفذ وابن عرس . وكان بوستر يعرفها جميعا .. وكان يقول لوالديه إنه يتمنى عندما يكبر أن يصبح طبيبا بيطريا .. وبعد عامين أصيب بفيروس شلل الأطفال وكاد يقترب من الموت ..

فنقلت أمه سريره إلى حجرة تطل على المزرعة حتى تقوم بتمريضه ويكون هو قريبا من حيواناته .. كانت الحجرة دائما مليئة بالحيوانات .. فهنا يرقد كلبه .. وهنا قطة وضعت قطتين صغيرتين .. وبدأ بوستر يتحسن ..

وعندما بلغ ١١ سنة كان مستعدا للذهاب إلى المدرسة حيث يمارس السباحة ويلعب التنس .. وفى تلك الفترة كان يذهب - بالأمر - إلى مصنع الملابس الخاصة بأبيه ، وعمل هناك لفترة قصيرة .. بعدها شاهد إعلانا لإحدى جمعيات الحيوان تطلب مدربين ومشرفين . وتقدم بطلب وقبل ، وطلب منه أن يبدأ التمرين لمدة شهر ، وعلم أبوه فكان رفضه عنيفا ، ولما تمسك بوستر كان التحذير : إذا تركت عملك فى المصنع فسيكون عليك أن تترك المنزل ولا تعود مرة أخرى .. ومنذ تلك اللحظة لم يقل الأب كلمة واحدة لابنه ..

وحمل بوستر حقيبته وخرج يقوم بالتدريب فى ودفورد .. حيث عمل لمدة ٥ سنوات فى كل أنحاء لندن .. كان يعود أحيانا إلى منزله حين يعرف أن والده ليس موجودا ليرى أمه

وشقيقاته.. وخلال تلك الفترة كان يجد فى نفسه القدرة على علاج الحيوانات بمجرد اللمس.. كما كانت لديه قدرة على تشخيص أمراضها..

وعندما بدأت الحرب العالمية رفض الجيش تجنيده لأسباب طبية فأنشأ عيادة بيطرية خاصة به فى فيلتهام.. وفى اليوم الأول للحرب زاره أبوه فى شقته ودعاه للعودة إلى المنزل.. وتمت مصالحة بينهما.. ولكن برغم نجاح الابن الواضح فإن الأب كان يعيش فى صمت.. ومع أنهما كان يعيشان معا فى نفس المنزل فإنه لم يحدّث ابنه لمدة سنة ثم مات..

وكان عام ١٩٤٠ هو أسوأ الأعوام فى تاريخ الحيوانات فى بريطانيا، فوسط نقص الطعام والقصف المستمر أصبحت الحيوانات شيئا غير مرغوب لدى البريطانيين فقد كان من المستحيل رعاية الحيوانات وإطعامها.. لذلك فقد امتلأت عيادة بوستر بالعشرات من الحيوانات أرسلها أصحابها بسبب الضرورة القاسية.. كان بوستر يأخذ الحيوانات إلى الحديقة التى ازدحمت.. وداخل المنزل.. وانتقل هو ووالدته إلى مكان آخر قرب فيلتهام وكان منزلا به حديقة من ١٠ أفدنة بنى فيها بوستر أماكن كبيرة للحيوانات، كان بالحديقة ١٦٠ كلبا وعشرات من القطط والبط والدجاج والغزلان والحمير والقرود.. وببغاء اسمه بوليو، كان ذا شهرة بأعمال العنف ولكنه كان يذهب مع بوستر إلى كل مكان وهو على كتفه...

وكان إطعام الحيوانات هو المشكلة الكبرى.. وبرغم أن الوجبة لم تكن كبيرة فإن أحدا من الحيوانات لم يشعر بالجوع.. وكان هناك مطبخ كبير فى الحديقة يرسل إليه الناس من كل مكان بقايا طعامهم.. كما كانت هناك بحيرة صغيرة مليئة بالسمك..

وكان بوستر يمارس عمله في وقت الحرب ، ويذهب إلى الأماكن التى تتعرض للقصف لإنقاذ الحيوانات المصابة ..

وبعد قليل من انتقالهم إلى المنزل الجديد كان بوستر يعبر الحديقة عندما فوجىء بحجر يمرُّ بجوار رأسه .. ثم حجر ثان .. وثالث .. واعتقد بوستر أول الأمر أن طفلا صغيرا فوق شجرة يلقى عليه بالحجارة .. ولكن عندما بدأ هذا الأمر يتكرر يوما بعد يوم بدأ يشعر بالقلق .. ثم لماذا لا يصيبه أى حجر ؟ .. وما تفسير هذا الذى يحدث ؟ إنه يعرف العاملين معه جيداً .. ومتأكد أنهم لا يمكن أن يمارسوا هذه اللعبة ، إن الحجارة تتعقبه أحيانا حتى المنزل وتكسر زجاج النوافذ .. واستمرت هذه اللعبة لمدة سنة .. ولكن ظاهرة أخرى جديدة غير سارة بدأت تحدث ..

فذات يوم وهو يصعد السلم الخلفى وإضاءته غير جيدة فوجىء بيدين على رقبته تضغطان ولكن برفق .. انتابه الخوف .. ودعا أصدقاءه للصعود على السلم ليعرف ردود أفعالهم .. إنهم جميعا يشعرون بالأيدى غير المرئية والضغط على أعناقهم .. وتجنب بوستر استخدام هذه السلالم وخاصة فى الليل ..

وفى هذه الأثناء زاره خمسة من ضباط الجيش سعد جدا لما علم أن أحدهم قس بالجيش .. ذلك أن شيئا جديدا بدأ يحدث له فى حجرته حيث يوقظه فى الصباح صوت أرغون موسيقى تسمعه أمه فى الحجرة الأخرى وكذلك شقيقته .. كما أن بعض الكلاب التى تنام معه فى نفس الحجرة تبدأ فى النباح بصوت عال كما لو أن أحداً غريبا فى الحجرة .. ولكن لا أحد هناك لا فى الحجرة ولا فى الممر الخارجى ..

وتوقف الضباط عند هذه القصة وخاصة القس .. وتطوعوا

بالنوم فى غرفة بوستر .. وكانت النتيجة تظهر فى صباح اليوم التالى عندما يأتى كل ضابط إلى مائدة الإفطار ووجهه شاحب .. حتى إن القس أصرَّ على تغيير الغرف فى منتصف الليل ..

وتزايدت الضوضاء التى لا مصدر لها .. إن اللوحات تسقط من الجدران .. والروائح الغريبة تملأ الغرف .. وأصوات الضحكات كذلك ..

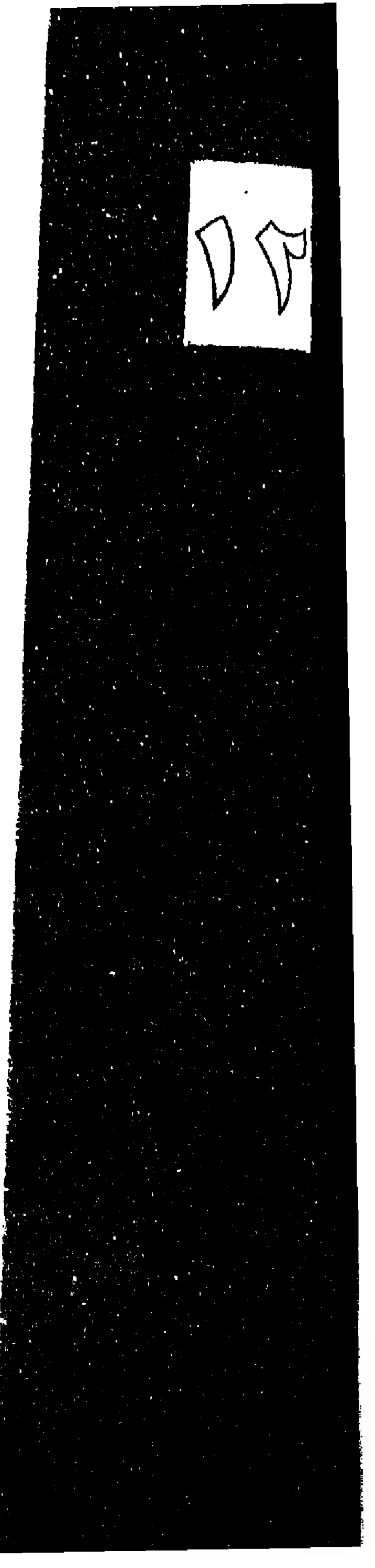
وسأل بوستر أحد القساوسة الكاثوليك ، وكان قد حضر إلى المنزل وأخذ يتلو الصلوات ويلقى بالماء المقدس .. ويصنع علامة الصليب .. ولكن شيئا لم يتغير ..

واستدعى بوستر رجال البوليس الذين بحثوا كل الاحتمالات .. وبحثوا أيضا فى كل مكان . وكانوا يطلبون من بوستر أن يسير فى الحديقة ليشاهدوا الحجارة تلقى من اتجاهات مختلفة .. ولكنهم لم يجدوا شيئا وانتهوا إلى « إن شيئا غريبا يحدث هنا ياسيد بوستر » .. ولم يكن هناك بدٌّ من استشارة الهيئة الروحية لمنطقة ميريلبون .. التى أرسلت وسيطتين .. إحداهما الشهيرة إيستيل روبرتس .. وقامت السيدتان بعمل جلسة تحضير أرواح فى الحجرة التى يسمع فيها بوستر صوت الأورغون .. وكانت المفاجأة .. إن روح والد بوستر هى التى تفعل كل هذا .. فالروح قد شعرت بخطأ المعاملة القاسية التى عاملها الأب لابنه .. وهى تريد من الابن المغفرة حتى تستريح ..

كان بوستر متشككا أول الأمر فى هذه النتيجة ولكن ما أكدته السيدتان من أوصاف للأب وتاريخ مولده وتاريخ وفاته .. بالإضافة إلى أدلة أخرى منها أنهما قالتا لبوستر عن مكان مفتاح لأحد الأدراج يوجد به الإنجيل الخاص بالأب .. وبعد ذلك

تحدثت روح الأب إلى بوستر مباشرة بنفس صوت الأب عن طريق إحدى السيدتين .. وقالت الروح إنها تطلب المغفرة من الابن .. بعدها توقف كل شيء وعاش بوستر في سلام ..

وفي عام ١٩٥٨ بدأ بوستر يعاني نتيجة فيروس شلل الأطفال الذي أصابه في طفولته .. ففقد استخدام قدمه اليمنى .. ثم ذراعيه .. وتأثرت رئتاه .. وبدأ يناضل ويعالج حيواناته وهو على كرسي متحرك حتى عام ١٩٦٥ حين اضطر إلى اعتزال مهنة الطب البيطري .. وبدأ يكتب قصة حياته ..



مريض كان يرى الشياطين فى رداء أخضر ترقص حوله .
ومريض آخر صاحبه شبح هيكل عظمى حتى لفظ أنفاسه الأخيرة .

الشياطين الخضر .. والعظام البيضاء

روزمادى تيمبرلى

كثيرا ما يسمع الأطباء قصصا غريبة من مرضاهم .. وهنا قصتان غريبتان من مذكرات الأطباء فى القرن التاسع عشر .. وقد رويت القصتان إلى سير والتر سكوت من أصدقاء طبيب .. وهو لم يذكر أسماءهم .. وهم لم يذكروا أسماء المرضى .. لأن الموضوع كان خاصا ..

* * *

قال المريض : « إنهم الشياطين الخضر لا أستطيع منهم فكاكا » .. سأله الطبيب : أى شياطين خضر ؟ .. رد قائلا : إننى لا أعرف ماذا أو من يكونون .. إنهم مجموعة من الأشخاص يرتدون ملابس خضراء .. وهم يرقصون رقصة خاصة فى حجرتى .. فى خطوات غريبة لم أشاهدها من قبل .. وكلما دخلت غرفتى أراهم يرقصون وسط الأثاث .. قال له الطبيب : هل تكثر من الشراب ؟ .. إن الشياطين الزرق هو اللقب الذى يعطى الآن لمدمنى الخمور .. الذين يصابون بالهلوسة .. ولكن اللون اختلف هذه المرة .. كان لدى الطبيب سبب كاف لجعله يعتقد أن مريضه هذا الشاب الثرى يعيش حياة كلها خمر ونساء .. إنه يملك منزلين .. وقصرا كبيرا فى المدينة يعيش فيه وضيعة فى الريف أهملها لأن الحياة فى الريف متقشفة ..

نصحه الطبيب : «قلل من الخمر .. وسوف يقل الشياطين الخضر الذين تراهم .. وأنصحك بأن تعيش لفترة فى منزلك بالريف .. وخذ الأمور بهدوء .. واسترح .. ونم مبكرا واستيقظ مبكراً .. وقلل من الطعام .. وامنع الكحول .. » ..

كان منظر الشياطين الخضر يخيف الشاب حتى إنه أخذ بنصيحة الطبيب وذهب إلى الريف وبعد شهر وصلت إلى الطبيب رسالة من مريض يقول له فيها إن علاجه قد نجح .. وإنه قد استعاد صحته من جديد ولم يعد يرى الشياطين الخضر .. ولذلك فقد سعد وكرر البقاء للأبد فى الريف وعدم الحياة فى المدينة مرة أخرى .. ولذلك باع منزله فى المدينة ولكنه قرر الإبقاء على الأثاث وطلب نقله إلى قصره فى الريف ..

وصل الأثاث .. ووقف الشاب سعيدا يرقب العمال وهم يرتبونه فى القصر .. كان يبدو جميلا فى موقعه الجديد .. وبعد أن انصرف العمال وقف الشاب وحده معجبا بالأثاث .. وفجأة عادوا من جديد .. فبين قطع الأثاث تشكلت الشياطين الخضر .. وبدأت تتحرك وتؤدى رقصاتها الغريبة .. ووقف الشاب يحملق فيما يحدث أمامه ، إنه لم يذق طعم الخمر منذ أسابيع ولابد أن ما يراه حقيقة .. إن منظر الشياطين الخضر واضح تماما ويرددون أغنية «هانحن جميعا هنا حولك» ..

وتحولت حياة الشاب إلى جحيم مرة أخرى .. وترك كل شىء خلفه وفر للخارج .. ولم يعد مرة أخرى .. ولم يعرف طبيبه ما إذا كان الشياطين الخضر قد تبعوه .. أم بقوا مع الأثاث الذى كان بمثابة ملجئهم المادى .. ربما لا يزالون يرقصون فى مكان ما داخل ضيعة هذا الرجل لمالكيها الجدد !

* * *

المريض الثانى كان محاميا شهيرا .. وربما كانت حياته قد دمرت تماما لو عرف أحد الرعب الذى يعيش فيه .. وحتى طبيبه لم يستطع الفوز بثقته حتى النهاية تقريباً ..

فقد استدعى الطبيب عندما انهار المحامى ورقد فى فراشه .. كان نبضه بطيئاً .. وبلا شهية للطعام تقريبا .. وكان يعانى من اكتئاب شديد .. وكانت أسرته تشعر بالحيرة مما يعانيه عائلها .. سأل الطبيب زوجته وابنه ولكنهما لم يستطيعا تحديد شىء معين وراء حالة المحامى .. إن الأسرة لم تواجه أية كوارث .. وكل شىء يسير بهدوء ..

لابد أن هناك سرا .. ولابد من الكشف عنه .. لقد قرر الطبيب إجبار مريضه على الحديث .. وطلب من كل الموجودين أن يغادروا الحجرة ثم أغلق الباب حتى أصبح هو والمحامى وحدهما .. كان الطبيب قد خمّن أن يكون مريضه قد ارتكب جريمة ويعانى من شعور بالذنب .. لذلك فقد قال له : إن الاعتراف سوف يساعدك .. تمتم المريض قائلا : حسناً .. سأخبرك برغم أنك قد تجد من الصعوبة تصديق ما سأقول ..

وبدأ يحكى : منذ ٢٧ شهرا بدأت أرى أشياء لا يراها الآخرون .. كنت فى صحة جيدة تماما .. وأعيش فى هدوء ، ناجحاً فى عملى وفى زواجى .. وكان أول ما رأيته قطة ظننت فى البداية أنها حقيقية .. حتى تأكدت من أن أحداً لا يراها سواى .. وتعجب حول ما إذا كان هناك خطأ ما فى عينيه .. أو عقله .. بعدها شعر بالخوف .. لقد كان يحب القطط جداً .. لذلك نما لديه التعود على وجودها الغامض .. وهو لم يذكر ذلك لأى شخص حتى لا يعتقد أحد أنه مجنون وبعد أشهر قليلة اختفت القطة وحل محلها كائن بشرى .. كان هذا الكائن يرتدى رداء

الحاجب فى المحاكم ويحمل سيفا ويصحبه فى كل مكان .. سواء داخل منزله أو فى منازل الآخرين ، كان يسير أمامه على السلالم كما لو كان سيعلن عن قدومه .. حضر المحامى الكثير من حفلات الاستقبال وكان الحاجب يحضر معه .. ويجلس وسط الحاضرين لكن أحدا لا يلحظه ..

وأيضا مثلما كان الحال مع القطة أصبح المحامى متعودا على منظر الحاجب .. ولم يقل لأحد حتى لا تضطرب صورته أمام الناس

مرت عدة أشهر واختفى الحاجب .. واستراح المحامى .. واعتقد أنه يجب أن يفكر فى الأمر وفى التجربة كلها على أن اضطرابا بسيطا قد حدث فى المخ وأنه شفى منه ..

ولكن ذات يوم كان يسير وحده فى الشارع وشعر أنه ليس وحده .. نظر حوله فى خوف .. إذ توقع عودة ظهور القطة أو الحاجب .. ولكنه بدلا من ذلك رأى صورة الموت نفسه .. هيكل عظمى .. بدأ يجرى .. ولكن الهيكل العظمى كان معه صامتا .. تبرق عظامه البيضاء .. وتقرقع جمجمته المخيفة .. ومنذ تلك اللحظة ظل هذا الهيكل مرافقا له .. عندما يسير وحده يسير إلى جواره .. عندما يجلس ليتناول الطعام يجلس أمامه .. عندما يكون مع أسرته يظل الهيكل العظمى وسطهم .. عندما يذهب إلى عمله فى المحاكم يظهر الهيكل العظمى فى الممرات وغرف المحكمة .. ويحاول الرجل أن يتناسى وجوده لكنه لا يستطيع .. وأدى هذا به إلى المرض .. إنه لم يعد يستطيع أن يأكل أو ينام ولم تعد أعصابه تتحمل ..

ورجا المحامى الطبيب ألا يبلغ أحدا من أفراد أسرته .. إن قصة مثل هذه سوف تنتشر بسرعة وسوف تدمر حياتهم .. لقد

حاولت كثيرا أن أتجاهل ما أرى ولكنى فشلت، إنه سيؤدى بى إلى الموت .. إنه شىء من العالم الآخر سيظل معى إلى النهاية ..

سأله الطبيب : هل يمكنك أن تراه الآن ؟ .. رد المحامى : بالطبع أراه .. لقد أخبرتك إنه أمام عينى طوال الوقت .. ولكنك أنت لا ولن تراه .. لا أنت ولا أى إنسان آخر سواى ..

سأله الطبيب : قل لى فى أى مكان بالحجرة هو الآن ؟ قال : قرب أسفل السرير .. إنه موجود فى المسافة المفتوحة بين الستائر المحيطة بالسرير .. قال الطبيب : إننا نريد أن نثبت ذلك هل يمكنك أن تقوم وتقف فى المكان الذى يقف فيه ؟ . رد المريض : لا .. لا أستطيع .. لا أستطيع بالله عليك .. قال الطبيب : حسن .. إذن سأقف أنا هناك .. وقام من مقعده ووقف فى المنطقة المشار إليها .. وهو يقول : انظر جيداً .. لا هيكل عظمى الآن .. هل هناك ؟ ..

ورغم كل محاولاته المخلصة فقد شعر الطبيب بلمسات على كتفيه .. لكنه تماسك واحتفظ بابتسامة على شفتيه .. وقال للمريض : قل لى هل يمكنك أن تراه الآن ؟ همس المريض : ليس تماماً . سأل الطبيب : ماذا تعنى بليس تماماً ؟ قال المريض : أعنى أننى أرى الجمجمة فوق كتفيك .. قفز الطبيب ونظر خلفه .. لم ير شيئًا لكنه كان لا يزال يشعر ببرودة بالفعل فوق كتفيه .. وقال المريض وشعور باليأس ينتابه : إنك لرجل عطوف يا سيدى ، ولكن هذه القوى أيا ماكانت هى أيضا أقوى منك .. ولا يمكنك مساعدتى .. ولا أحد يستطيع ..

حاول الطبيب بأكثر من طريقة أن يخلص مريضه من شبح الهيكل العظمى .. ولكنه فشل .. واستمر المريض يرى الهيكل ..

وازداد ضعفا ومرضا خلال الشهرين التاليين ولم يقم من فراش المرض مرة أخرى .. وبدأ الهزال يصيبه .. ومات .. وشبح الهيكل العظمى ملازم له حتى آخر لحظة ..

واحتفظ الطبيب بسر مريضه الميت .. ولم تعرف الأسرة شيئا عن هذا الموضوع .

رقم الايداع : ٥٩١١ / ١٩٨٩

الناشر

